٥٤١

541

دار م. النحاس

HARLEQUIN

حب

www.elromancia.com

مرمورية

ربيع صقلية

سالي ونتوورث

ربيع صقلية

سالي ونتوورث

لما كان ريف كفالري ثرياً وناجحاً ومليئاً بالثقة. فقد تعود على الحصول على ما يريد. وقد اراد بريوني. ولكن يبدو أن ثقة الايطالي المشهور قد خذلته هذه المرة ذلك أن بريوني قد جاءت إلى صقلية لنسيان خطيبها السابق...

www.al-maktabeh.com

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - مصر: ٤ جنيه - المغرب: ٨ درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال.

(لم يتصرف أحد نحوي قط من قبل بهذا الشكل.)

«هل تهددين؟»

«اذا أنت اردت ان تفكري هكذا.»

ثم تذكرت بريوني من حديثها مع ايتا انه لا يحب اية فضائح، وهكذا قالت له: «حسنا، هيا انشر شائعاتك اذا كنت من هذا النوع، لكن لا تنسى انهم سيتكلمون عنك ايضاً، وكل هذا من دون فائدة. والان علي ان اذهب.»

سالي ونتوورث

وسئلت مرة: «أتحبين أن تكوني ضيفة الشرف في حفلة يقيمها القراء في صقلية؟»

وهكذا ذهبت إلى جزيرة الجمال والمتناقضات.. حيث المنتجعات السياحية العصرية تقابلها فوهة بركان «أتنا» التي تنفث الدخان منذ زمن بعيد. والمدن المكتظة يقابلها هدوء الحدائق.. إلى حيث الشمس الدافئة وضيافة الصقليين الأكثر دفئاً، وسأعود مرة أخرى لأمضي عطلة طويلة ممتعة.

٥٤١

خلوب

khouloub Abir 541

ربيع صقلية

سالي ونتوورث

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

يفترض بالزواج أن يكون بداية لحياة جديدة للعروسين. لكن قُدِّرَ لهذا الزواج بالتحديد ان يغير حياة إحدى المدعوات. لم تأت الدعوة لبريوني فيرز في الوقت المناسب. لأنها كانت قد انهت حديثاً علاقتها مع خطيبها التي دامت سنتين، ولم تشأ أن تحضر عرساً لأي أحد آخر. ذلك أنها، بما أن العرس كان عائلياً والعروس هي ابنة عمها جورجينا، كانت تخشى أن تسألها هذه عن الموعد الذي ستصبح فيه عروساً هي أيضاً...

هزت كتفيها للفكرة وارادت ان تنسى الدعوة، لكن بريق نظرات والدتها وتصميم والدها اكدا لها ان عليها الرضوخ وحضور حفل الزفاف. بما انها ابنتهما الوحيدة والمحببة لديهما، والجميلة جداً.

كان مقرراً أن يكون حفل الزفاف في اوائل شهر آذار (مارس)، حيث ينتظر أن يكون الثلج والصقيع ما يزالا موجودين، لكن هذه السنة كان الطقس دافئاً ومشمساً مما لم يلائم مزاج بريوني قط. بدت العروس، جورجينا جميلة جداً، كسائر العرائس، تحدق بنظرات الخجل إلى عريسها الجديد، مما جعل الحسد يخطو خطواته إلى قلب بريوني. ثم رأت ابتسامة الانتصار على وجه العريس، مما قلب عاطفتها إلى كره. في هذه اللحظة فقط شعرت بالسرور كونها لن تسلم قلبها لاحد آخر بعد اليوم. على الأقل ستكون

هي سيدة نفسها، وعندما علمت أن ليس لديها ادنى فكرة عن نوع الحياة التي ستحياها امتلأ قلبها بالخوف من جديد.

في حفلة الاستقبال في أحد فنادق المدينة، عملت بريوني جاهدة أن لا تقرب ناحية اقربائها. لكنها لم تفلح لأن والديها كانا قد تابطا ذراعيها وراحا يتنقلان بها للتأهيل بكل المدعوين كل بدوره.

كل الذين علموا بقصة خطبتها الفاشلة نظروا إليها نظرات العطف وتجنبوا الحديث عنه. والذين لم يعلموا أو حتى نسوا، خصوصاً الأقارب، قالوا لها: «متى ستدعيننا إلى حفلة زفافك يا بريوني؟»

ولم تنفرد بنفسها إلا بعد أن قدمت جميع الضيافات وقطع قالب حلوى العروسين، فأخذت كوب شراب الورد وهربت إلى غرفة صغيرة في آخر الممر. جلست على كرسي يطل على الحديقة، واسندت ظهرها إلى الحائط، وقد شعرت أخيراً بالهدوء.

بعد دقيقتين انفتح الباب، وتمنت من كل قلبها أن لا يكون الآتي أحد المدعوين. فكرت بريوني بحظها السيء هذا اليوم وهي ترى امرأة متوسطة العمر كانت قد لمحتها في الحفلة. وفوجئت المرأة بوجودها في الغرفة بمفردها، لكنها قالت لها بلهجة لطيفة: «أنا أيضاً لا أشعر برغبة لحضور حفلات الزواج.»

ابتسمت المرأة وجلست على كرسي مريح، قالت: «يشعر المرء أنه غير اجتماعي إذا لم يقف كل الوقت في مثل هذه المناسبات.»

لاحظت بريوني حذاءها الايطالي الغالي الثمن ذا الكعب العالي، وحتى ثوبها الجميل الحديث الطراز ابداها امرأة ذات طبيعة مسيطرة. وبدأت تفكر من تكون يا ترى؟ بالتأكيد لم تكن من احدى الأقارب، لكن ساورها شعور انها كانت قد التقت بها من قبل.

بدت لها أن المرأة الأخرى وكأنها تعاني من نفس المشكلة لأنها قالت بعبوس: «هل أنت...»

أجابتها بريوني: «بريوني فيررز. ابنة عم جورجينا.»

ردت المرأة: «آه، طبعاً، كان علي أن اتذكر أنني التقيت بك في حفلة نكرى مولد جورجينا الثامن عشر.»

قالت بريوني: «كان ذلك منذ زمن، لا أتذكر علاقتك بالعائلة.»

أجابتها المرأة: «أنا لست من الأقارب. انا صديقة جورجينا، كنت زميلة والدتها في نفس المدرسة.»

قالت بريوني: «آه، طبعاً.» كان عليها أن تلاحظ أنها تبدو في حوالي الخمسين ولكنها لم تتذكر اسمها.

عرفت المرأة ما كانت تفكر به بريوني. فقالت لها باسمة: «انا الكونتيسة هنريتيا ديل كفالري.» ابتسمت مرة اخرى لما رأت التعجب على وجه بريوني وأضافت: «اسمي إيتا» بالمختصر.»

سألتها بريوني: «هذا اسم ايطالي، أليس كذلك.»

أجابتها ايتا: «نعم، زوجي كان ايطاليا.»

سألتها بريوني بتردد: «كان؟»

قالت ايتا: «نعم، لقد توفي منذ تسعة اشهر.»

أضافت بريوني: «أنا متأسفة جداً.»

قالت الكونتيسة ببرود: «كان انطونيو اكبر مني سناً. وأنا متأكدة أنه عاش معي سعيداً في آخر سنين حياته.»

سألتها بريوني: «لم يمضِ وقت بعيد على زواجك، إذن؟»

أجابتها الكونتيسة بابتسامة: «منذ خمس سنين التقينا في حفلة، وفي الوقت الذي التقيت به، احست اني سوف اتزوجه، هذا بعد أن وجدت أنه أرمل ثري، طبعاً. أيصدمك هذا؟»

بعد أن بدأت تعجب بها أجابتها: «طبعاً لا، هل أصبحت زوجة أب؟»

أجابتها الكونتيسة: «لحسن الحظ، كلا، لم يكن لانطونيو اولاد.»

سألتها بريوني: «هل كنت متزوجة قبلاً. يا كونتيسة؟»

أجابتها المرأة المتقدمة في السن: «أرجوك ناديني إيتا إن لقب الكونتيسة يبدو رسمياً بيننا. لا، لم أتزوج من قبل. ولكن كان عندي ارتباط في الماضي.»

هزت بريوني رأسها وقالت: «كنت أنا ايضاً مرتبطة.»

سألتها ايتا: «هل فسخت هذا الارتباط؟»

أجابتها بريوني بهزة عنيفة من رأسها: «لا أعرف، في الحقيقة. فالأمور لم تجر كما يجب. لقد بدأت اشك بوجود شخص آخر في حياته. ولكوني كنت خائفة لمفاتحته بالموضوع لسببين اولاً: لاتهامه لي بعدم ثقتي به. وثانياً: خوفاً من اعترافه لي بارتباطه. ثم وجدت قرطاً، طبعاً ليس لي، في جيب سترته، مما أدى إلى انفجار الوضع.»

«هل اتهمك بعدم ثقتك به؟»

«أكيد، وحتى رفض البوح بوجود أخرى أو عدمه.»

قالت إيتا بعطف: «زجك في الحيرة. وماذا حصل بعدئذ؟»

«خرجنا من الشقة بنفس الوقت، ذهبت أنا إلى البيت عند أمي، ولم أعرف أين ذهب جيف. لأن الشقة بقيت فارغة. انتظرته ليطلب مني ان ارجع، وأظن أنه انتظرني لأطلب منه أنا الرجوع لبعضنا البعض. ولكن لا احد منا قام بالمبادرة.»

«عندك كل الحق للانفصال، أنا متأكدة من أنك بعد سنة أو أقل، سترين كل هذه الأمور بمنظار آخر وسيبدو ذلك مضحكاً.»

قالت إتيا ذلك بكل تأكيد مما جعل بريوني تبتسم وتقول: «أحب موقفك هذا. كل شخص آخر يعاملني كأنني ارملة تعيسة.» استدركت نفسها بسرعة وأضافت: «أنا متأسفة جداً، أنا...»

«أرجوك ألاّ تعتذري، كنت أنا مغرمة بأنطونيو وحزنت جداً لوفاته، ومازلت اتعذب عندما اكون بمفردي. ولكن هذا لم يمنعني من التطلع إلى المستقبل، الآن أنا مستعدة لأي تغيير.»

«هذا أكيد لكونك أرملة ثرية.»

عقدت إيتا حاجبيها وقالت: «هذا ما ظننته، ولكن لسوء الحظ لم تجر الأمور كما توقعت تماماً.»

همت بريوني بأن تسألها عن السبب ولكن لأول مرة أدركت انها تتحدث إلى إمرأة غريبة وبعمر والدتها أيضاً. كانت إيتا منفتحة وودود مما سمح لها بأن تتكلم معها بكل

حرية. لكنها تراجعت الآن، تجنباً للظهور بمظهر التطفل، مع أنها كانت تتمنى أن تعرف أكثر. لكنها فضلت ترك ذلك لإيتا أن تعلمها إذا هي أرادت.

بعد مرور عدة لحظات قالت إيتا: «والآن اخبريني كل شيء عنك.»

«هناك الكثير لاخبارك مما يستغرق سنيناً.»

«هذا افضل من القول انه ليس هناك شيء على الاطلاق كما تقول معظم الفتيات. أحب الأجوبة الايجابية، هيا ابدأي.»

ابتدأت بريوني تقول ضاحكة: «انا الابنة الوحيدة لوالدين شغوفين بي، مما جعلني أنشأ مدللة وأصرّ على الحصول على كل شيء اريده.»

«لكنك تخطيت كل شيء بالرغم من هذا.»

«أظن ذلك، لقد انهيت المرحلة الثانوية بنجاح، وباصرار منهم تمكنت من دخول الجامعة. مما سبب لي بعض الضغط، وفي يوم قرأت أنا وصديقة لي قصة عن فتاة كانت تعمل في منتجع للتزلج. وفكرنا سوياً انها مغامرة حلوة للخوض بها. مما حمسنا ان نأخذ دروساً في اللغة الايطالية. وفي أول شتاء بعد تخرجنا من الجامعة، حصلنا على فرص عمل في جبال الألب الايطالية.»

سألتها ايتا بتعجب: «اتتكلمين الايطالية؟»

«نعم، ولكن ليس بنفس الفصاحة التي يتكلمها اناس عاشوا هناك، مثلك انت.»

«عزيزتي، إنني لا أكاد أعرف كلمة منها. انطونيو يتقن اللغة الانكليزية، ولم يكن ضرورياً أن اتعلم اللغة، مع انني

الآن نادمة جداً لعدم تمكني من التعلم وقتئذ. انا الآن اقاطعك تابعي.»

«كان العمل شاقاً جداً، وليس مسلياً كما توقعنا ان يكون. لكن بعد عدة أشهر تمكنا من الخروج لبعض الوقت للتزلج. وهناك تعرفت على جيف الذي كان في عطلة مع بعض الاصدقاء. ولكنه كان مقيماً في الفندق، وليس في المنتجع. احببنا بعضنا من النظرة الأولى. وكذلك تعرفت صديقتي كارولين، على احد اصدقاء جيف، وبما ان العمل كان في المنتجع خفيفاً ذلك الأسبوع، سمح لنا بوقت فراغ اكثر. فكنا نتزلج تقريباً كل النهار.»

غابت بريوني لبعض لحظات في التذكر فقاطعتها ايتا: «ماذا حصل عندما ذهبوا إلى بلادهم بعد انتهاء العطلة؟»

«كنت كل الوقت أقول لنفسي، إنها مجرد عطلة، ولكن بعد بضعة اسابيع، ظهر جيف فجأة دون أن يعلمنا بذلك، ولكنه كان بمفرده هذه المرة.»

«أظن انكما تزلجتما كثيراً.»

«طبعاً، لقد تزلجت كثيراً ذلك الاسبوع، وكانت اياماً جميلة، فدامت معرفتنا سنتين.»

«لم تملي قط.»

«طبعاً لا، هناك الكثير لنرى أو نعمل، خصوصاً عندما يعيش المرء في لندن. لقد ابتدأت بتلقي دروس عن الفنون القديمة وما شابه ذلك. وكنت اذهب مع جيف في كل رحلات العمل التي كان يقوم بها.»

«ألم تزاولي عملاً في تلك الفترة؟»

احمرت وجنتا بريوني وقالت: «لم يكن جيف ليريد ذلك.

لأنه كان يحب ان اكون حرة لملاقاته وعند الغداء او العشاء في المطاعم.» سكتت للحظة وقالت بلهجة التحدي: «هل تظنين ذلك خطأ؟»

«بالطبع لا، إذا هو أراد ذلك فليكن.»

«نعم، اظن ذلك.»

«إذن لماذا تنتظرين أن تعيشي خلاف ذلك، فقط لكونك خطيبة بدلاً من زوجة؟»

«ربما هي مسألة كبرياء؟»

«كلام فارغ، إن التزام كل منكما بالآخر هو نفس الشيء بالنسبة للمتزوجين، ولا استغرب فكرة انه كان يريد ان يزهو بك لكونك فتاة جذابة جداً.»

«شكراً جزيلاً، انك تبالغين بذلك لرفع معنوياتي. لم اقدر ان اتكلم هكذا مع والديّ. مع انهما حاولا جاهدين ان يبدوا متحضرين بالنسبة لهذا الموضوع، مثل جيف، ولكن كل مرة كانت والدتي ترانا سوياً كان يبدو واضحاً انها تتوق للسؤال متى سنتزوج.»

«لكن الموضوع لم يبحث قبل المدة الأخيرة كما أظن؟»

«معك حق، لأنني طالبته بإعلان الموعد.»

«هذه غلطة، انها لتذكر الشباب بالمسؤولية، وان عليهم ان يكبروا.»

«اتظنين انه السبب لفراقنا؟ فهو كان، في عقله الباطن، يريد الفراق، مما أدى إلى شجارنا؟»

«ألم تحثيه انت لذلك؟»

«ربما انت على حق.»

سألتها إيتا: «ماذا ستفعلين الآن.»

«سأحاول أن أجد وظيفة في مكان ما، مع صعوبة ذلك لعدم قيامي بأي عمل لمدة سنتين، ارباب العمل، هذه الأيام، يفضلون الاشخاص ذوي الخبرة، ولكون وجود عدد كبير لا يعمل، فإنهم يختارون الأحسن من بينهم. وما هي امكانياتي، سوى التكلم باللغتين الفرنسية والايطالية؟»

«لكن بإمكانك ان تطبخي، وقد قلت انك اخذت دروساً في هذا؟»

«نعم، ومن يريد هذا؟»

«بالحقيقة، أنا أريد.»

«أنت يا إيتا؟ لكن أنا...»

«عندي فيلا في صقلية، وأفكر أن احولها إلى فندق. مميز، لاستضافة عدد قليل من الضيوف. وبحاجة إلى شخص اثق به ليديره، يعرف الايطالية، يحسن الطبخ، ومؤهل لاستقبال الضيوف. ما رأيك هل يعجبك هذا العمل؟»

حدقت بريوني بها بحيرة.

قالت إيتا مستغلة حيرتها: «ليس لديك ما تخسرينه إذ ليس لديك خطط أخرى، وسيساعدك هذا على الشفاء من الصدمة العاطفية مع جيف. هذا بالاضافة لوجود اهتمامات جديدة واماكن جديدة ترينها. فكري بالجو! سأدفع لك راتباً محترماً. وإذا سارت الأمور كما يجب، ولقينا النجاح، تحصلين على نسبة من الارباح. وسنبني لفندقنا سمعة رفيعة تؤهله ليكون في كتاب دليل السياحة. وحتى...»

قاطعتها بريوني بقولها: «هذا يكفي... اظن ذلك عظيماً. هذا بالضبط ما اريده. إننا لم نكد نتعارف، فهل أنت واثقة من انني الشخص المناسب لهذا المنصب؟»

«حسناً، إذا لم تجر الأمور كما يجب يمكنك الرحيل، وبإمكاني دائماً أن اصرفك من العمل.»

انفجرت بريوني ضاحكة ولمعت عيناها عند قولها: «اريد ان اناقش معك هذا الموضوع أكثر من ذلك.»

«إذاً، ناقشي.»

«لا اعني الآن. علينا بالتفكير اولاً ثم الالتقاء مرة ثانية لمتابعة الحديث. إلى متى ستبقين في لندن؟»

«لاسبوع آخر. إنني اقيم الآن في فندق سافوي في لندن، ما رأيك لو نلتقي على الغداء هناك يوم الاثنين؟»

«حسناً اتفقنا.»

وقفت إيتا وهي تقول: «أظن ان علينا الرجوع إلى الحفلة. قولي لوالديك انك كنت معي تحتفين بي.»

ابتسمت بريوني ونهضت هي ايضاً وقالت: «ما أغرب اجتماعنا هذا.»

«ربما هو الحظ، اثق كثيراً بالحظ.»

امسكت إيتا يدها وقالت: «اتمنى ان تقبلي عرضي هذا، يا بريوني. ارتحت اليك منذ رأيتك وآمل أن نتفق جيداً.»

امتلأ عقل بريوني بالشوق لمستقبل افضل، ولكن لتكون اكثر حذراً بعد صدمتها مع جيف، اكتفت بالقول: «إنني انتظر بشوق يوم الاثنين.»

توقعت بريوني طوال اليوم التالي مكالمة من إيتا لتقول لها شيئاً مغايراً عن حديثها في الليلة الماضية. وفوجئت بانتهاء النهار من دون تلقي هذه المكالمة. لم تخبر بريوني والديها عما حدث معها. وفضلت أن تخبرهما بعد لقائهما يوم الاثنين. وفي صباح الاثنين

ذهبت إلى فندق «سافوي» وساورها شعور بأن إيتا يمكن أن تكون قد غيرت فكرها. لكن الكونتيسة قابلتها بكل حرارة.

قالت لها بريوني: «لم تختبري طبخي بعد.»

«أليس معك الشهادات.»

«نعم، جلبتها معي لتريها.» ثم سحبتها من حقيبتها، فوضعتها إيتا جانباً دون النظر اليها وقالت: «الطبخ مثل الكتابة والقيادة، عندما تتعلميهما لا تنسيهما ابداً، المهم بالنسبة لي، أننا متفقان وبإمكاني الاعتماد عليك. إنني واثقة من أن الزمن سيثبت حسن ظني بك.»

«ليس عندي أية خبرة بعمل الفنادق.»

أجابتها إيتا بتفاؤل عظيم: «وليس عندي أنا أية خبرة أيضاً وهذه منفعة لنا، وسنرى نتيجتها من رأي الضيوف.»

قالت إيتا: «سنشعر جميع الضيوف بالراحة ونرحب بهم جيداً لضمان رجوعهم مرة ثانية وثالثة. ولكن ضيافتنا لن تكون رخيصة.»

صدقتها بريوني، لكن عليها ان تعرض الفكرة على والديها، ثم قالت: «عندي كثير من الأسئلة، وأظن انها لفكرة حسنة لكلينا لو نوقع على عقد.»

وهكذا، بدأت بريوني باسئلتها العديدة، ولاقت من إيتا كل الحماس والتفاؤل. وثبتا بنود العقد على ظهر الغلاف، ووعدتها بريوني أن تبقى ستة اشهر على الأقل، وبدورها إيتا وعدتها بدفع راتب محترم في صقلية مع الاقامة، وكذلك دفع نسبة من الارباح بعد سنة إذا احبت البقاء معها.

«أفهم منك أنني سأعيش في الفيلا؟» ولما هزت إيتا

رأسها بالايجاب سألتها بريوني: «طبعاً ستعيشين أنت هناك أيضاً.»

«معظم الأوقات، مع أنني سأضطر أن اتغيب لبضعة أيام من وقت لآخر. عندي كثير من الأصدقاء، وأنا متأكدة انهم يحبون أن يبقوا في فندقنا.»

قالت بريوني بحماس: «ما أشد شوقي للابتداء بالعمل.»

«جيد جداً. أرى أن نتوجه معاً الأسبوع القادم إلى صقلية.»

«الاسبوع القادم!»

«هل هناك من عائق.»

«ليس بالضبط، لكنها السرعة التي جرت بها الأمور، منذ ثماني وأربعين ساعة لم أكن اعرفك، وها أنت ذي الآن قد غيرت حياتي. لقد أعجبني هذا في الواقع.»

«أنت من نوع الفتيات اللواتي لا يخفن من اقتناص الفرص.»

«أنت تعنين الطريقة نفسها التي اقتنصت بها جيف؟ ولكن انظري ماذا كانت النتيجة.»

«نعم، ولكنه كان رجلاً، والرجال نادراً ما يعتمد عليهم، الا إذا عوملوا كما يجب.»

سألتها بريوني: «يوما ما ستخبريني انت قصة حياتك.»

لمعت عينا إيتا بسرور وقالت: «سأفعل ذلك يوماً ما.»

كان الاسبوع التالي مليئاً جداً بالعمل بالنسبة لبريوني. لأن عليها ان تخبر والديها وتقنعهما انها تقوم بالعمل المناسب. انتظرت كثيراً من المناقشات، وتلقت منهما الكثير من الملاحظات ولكنهما كانا دائماً يأخذان بوجهة نظرها.

لقد شكت انهما ربما كانا قد اتصلا بإيتا في غيابها، أو حتى ذهبا لملاقاتها، لأنهما لما اخبرتهما كانا معارضين للفكرة. ثم تغيرا وقبلا بالعرض.

قالت لها أمها: «ربما سيفيدك الابتعاد لبعض الوقت، فقد يساعدك ذلك على نسيان جيف والتعرف إلى اناس جدد.»

ابتسمت بريوني وقالت: «سأحاول أن أتغلب على هذه المرحلة الصعبة. وانتظرها بفارغ الصبر.»

قال والدها: «ربما سنزورك ونكون من أوائل الضيوف في فندقك. إننا لم نزر صقلية من قبل.»

اندهشت بريوني وقالت: «عظيم، سأتمرن بخدمتكما.»

اشترت بريوني بعض الكتب عن الفنادق، لتأخذ بعض الخبرة لكي تدير الفندق، حتى انها، بكل تفاؤل وحماس الشباب، اتصلت بأحد فنادق لندن المعروفة، وسألت مديره إن كان بإمكانها المجيء لكي ترى كيفية إدارة الفندق، وربما بعثت ثقتها هذه، السرور في نفس المدير، ما جعله يسمح لها بالحضور، لتأخذ بعض الملاحظات. وهكذا امضت الساعات من دون أن تدري، بالتنقل من غرفة إلى غرفة واخذ جميع الملاحظات المفيدة. تنقلت إلى كل الأماكن، المطابخ، إدارة الفندق، المطاعم وغرف الاستقبال، كل شيء كان ذا أهمية خصوصاً مما أتحفتها به مديرة أحد الأقسام من أفكار عن إدارة الفندق. معظم الافكار طبعاً لم تكن مناسبة لإدارة فندق كما وصفته لها إيتا. لكنها كانت متأكدة أن بعض الأفكار ستكون مفيدة لها في ادارتها لذلك الفندق.

في المساء اتصلت بريوني بإيتا وبكل حماس اخبرتها

بما عملت في النهار. لكن إيتا قاطعتها ضاحكة، «عزيزتي، انا معجبة كلياً بمشاريعك، أتأسف الآن لاضطراري لقطع المكالمة وسوف نتكلم بهذا الموضوع على متن الطائرة عند سفرنا إلى صقلية. لأني خارجة الآن.» وأقفلت الخط.

ساعدتها والدتها بحزم أمتعتها وكانت مثلها مضطربة، قالت: «عليك أن تأخذي كل الكتب عن فن الطبخ إذ ستكونين بحاجة إليها.»

نظرت إليها بريوني وقالت ببطء: «نعم.» وتذكرت أن كل تلك الكتب مع أشياء غيرها كثيرة ما تزال في الشقة التي كانت استأجرتها هي وجيف.

لمحتها أمها للحظة وللحال فهمت وقالت: «سنذهب غداً صباحاً إلى هناك لإحضارها.»

في اليوم التالي ذهبتا إلى الشقة سوياً، لكن بريوني ترددت قبل أن تقول لأمها: «هل تمانعين إذا أنا دخلت بمفردي إلى الشقة؟ ولو لعدة دقائق.»

«جيف ليس هناك، أليس كذلك؟»

«لا، أنا واثقة أنه في العمل.»

«طبعاً لا أمانع، اذهبي واحضري كل اغراضك وسأعود بعد ساعة لآخذك.»

«شكراً لك.» وشكرت حظها لهذه الأم المتفهمة.

رغم معرفتها أنه لن يكون هناك، شعرت بريوني ببعض القلق عند فتحها الباب بالمفتاح، لم يكن هناك أي رسائل على السجادة. لكنها وجدت بعض الآثار على الغبار على السجادة. لا بد أنه كان هنا ومنذ وقت قصير،

استرجعت ذكريات الماضي. معظمها ذكريات سعيدة، وفجأة بدأت تتساءل عما إذا كانت قد اخذت القرار الصحيح أو الخطأ. ربما ما كان لها أن تتركه... ربما كان عليها أن تتصل به. لو قامت بهذه الخطوة لكانت الآن تعيش في هذه الشقة سعيدة كما كانت من قبل ولكن، لم ينته كل شيء. إن بمقدورها أن تتصل به في هذه اللحظة بالذات.

لكن الغبار والفراغ اكدا لها أنه لم يأت إلى هنا للعيش في هذه الشقة أو حتى لينتظرها لتعود إليها.

معظم حاجاته كان قد اخذها ما عدا بعض ثيابه المعلقة في خزانة الثياب، وبعض كتبه واسطواناته. لقد دفع الايجار مسبقاً ولم يزل هناك بعض الوقت لانتهاء الايجار. وليس هناك داع للاستعجال لينهيا ما كانا قد خططا له بعد الزواج. رأت صورة كبيرة لكليهما على الطاولة في إطار جميل كانت قد اخذت بعد أيام من تعارفهما، يوم كانا سعيدين جداً معاً. لم يأخذها جيف معه، ولا حتى هي. ثم بدأت بريوني بملء الحقائب التي جلبتها معها والصناديق، بكل حاجاتها وكتبها، لقد استأجرا الشقة مفروشة، لذلك ليس هناك ما يقلقها، لكنها كانت قد صنعت واشترت بعض الأشياء لتزيين شقتهما، كانت قد اختارتهم بكل حب. وقد انهار كل شيء الآن. ولم تر لماذا عليها أن تتركها لجيف أو حتى لمستأجر آخر.

كانت قد انتهت من كل شيء عندما أتت أمها لأخذها، وعندما قرع الجرس لم تقدر أن تمنع نفسها من العودة إلى الطاولة لأخذ الصورة ووضعها في أحد الصناديق.

www.elromancia.com

في المطار، كانت حاجاتها فوق الحد في الوزن، وكذلك حاجيات إيتا لأنها كانت قد اشترت أشياء كثيرة من لندن.

سألتها بريوني: «هل اشتريت اشياء للفندق؟»

«يمكنك أن تقولي هذا.»

بعد أن جلسا في مقعديهما. بدأت إيتا باخبارها عن الحفلة الموسيقية وحضورها لمسرحيتين في لندن. وبقيتا تتناقشان حتى حان وقت اقلاع الطائرة، وأتاهما المضيف بكوبين من العصير.

«علينا بشرب نخب نجاح الفندق.»

«طبعاً، لمستقبل عظيم، ماذا ستدعينه. فندق كفالري؟» وعضت إيتا بالعصير، فقد اختنقت وبدأت بالسعال حتى تغير لون وجهها. ثم قالت: «لا، لا، لا أظن ذلك، أحب ان ادعوه باسم حيادي غير هذا، علينا بالتفكير باسم آخر.»

هتفت بريوني: «سيكون هذا مسلياً جداً. إنه شيء لا يصدق.»

ألقت إليها إيتا بنظرة غريبة وقالت: «نعم.» وبدت كأنها ستقول شيئاً، ولكنها غيرت فكرها. وقالت: «ستخبرينني ماذا حدث معك أثناء زيارتك الفندق.»

استمر وصفها المشوق والمناقشة التي تلتها مع بعض المقاطعات عند تناولها الطعام، لنهاية الرحلة. كان النهار في آخره عندما لمحت بريوني لأول مرة، صقلية من خلال النافذة، بدت الجزيرة كأنها من ذهب، وذلك بسبب نشر الشمس أشعتها الذهبية على الجزيرة المحاطة بلون البحر الأزرق الجميل في قلب البحر المتوسط. خفق قلب بريوني بالحماس، عند هبوط الطائرة على مدرج المطار. فلا

مجال للرجوع إلى الحياة السابقة، لأن الحياة الجديدة ستبدأ قريباً.

كان بانتظارهما في المطار سائق سيارة رولز رويس كبيرة رمادية اللون، كان السائق في العقد الرابع من عمره ومن التابعية الايطالية.

عرفتها عليه إيتا بقولها: «إنه جيوفاني الذي يهتم بأمور منزلي هو وزوجته.»

حيته بريوني باللهجة الايطالية وصافحته. بدا عليه سرور سرعان ما تلاشى عند رؤيته اكوام الحقائب التي عليه أن ينقلها إلى السيارة.

كانت المسافة إلى البيت طويلة، وحين هبط الظلام، لم تستطع بريوني ان ترى شيئاً من المناظر الا عندما وصلوا إلى قلب المدينة بطرقاتها الضيقة. بدت المقاهي مكتظة بالرواد، يبدو أن الطقس لم يصبح دافئاً بعد لعدم جلوس الناس خارج المقاهي. ثم تركوا المدينة إلى ضواحيها إلى أن وصلوا إلى بوابة عالية تفتح أبوابها كهربائياً، فساروا في طريق عريضة تنتهي إلى الفيلا باضوائها المرحبة بهم.

نظرت إيتا نحو بريوني وقالت: «اهلاً بك إلى فيلا كفالري. أخيراً اصبحنا في بيتنا.» وضحكت.

كما توقعت بريوني، كانت الفيلا بأثاثها الغالي الجميل، وأرضها الرخامية وجدرانها البيضاء. لكن لم تكن الغرف واسعة جداً ولا حتى سقوفها عالية، مما اتاح لها أن تشعر كأنها في بيتها. أسرعت زوجة جيوفاني بالترحيب بهما، قائلة: «اهلاً بك في بيتك يا كونتيسة.»

www.elromancia.com

أجابتها الكونتيسة: «شكراً يا ماريا، ما أجمل العودة إلى هنا. هل حصل أية مشاكل في غيابي.»

«كلا، كل شيء سار على مايرام.»

«حسناً، وهذه آنسة فيررز التي أخبرتك عنها في الهاتف، وسيسرك أن تعلمي انها تتكلم اللغة الايطالية.»

تصافحت المرأتان واصرت بريوني على أن تساعدها بنقل حقائبها إلى غرفتها الجميلة في الطابق الثاني، وما ان انتهت من تغيير ملابس السفر حتى قرع الجرس للعشاء. تناولتا العشاء الذي جهزته ماريا بمفردهما، ووقفت هي وزوجها يخدمانهما، ثم تناولتا القهوة في غرفة الجلوس الكبيرة بمقاعدها الوثيرة المريحة، بعدها اعلنت بريوني انها تعبة بعد الرحلة.

قالت لها إيتا: «سأريك البيت كله غداً، وعندي اشياء لاقولها لك، لكن ليس الآن، ويمكنك أن تسهري إذا أردت، طبعاً.»

لكن بريوني صعدت إلى غرفتها، بالرغم من انها لم تكن معتادة على النوم باكراً، بقيت ساهرة لبعض الوقت وهي متحمسة مما يحمله الغد لها.

أيقظها نور الشمس باكراً في اليوم التالي حوالي الساعة السابعة، فقفزت من السرير بكل شوق ونظرت من النافذة بعد أن أزاحت الستائر، بدت لها الحديقة جميلة جداً بورودها الكثيرة والحشيش الأخضر الرائع. هناك سور عالٍ حول الحديقة ومن خلفه بدا لها البحر بتألقه تحت اشعة الشمس الباكرة التي تؤذي العينين.

نزلت السلم إلى الطابق الأول، الذي يؤدي إلى القاعة

الرئيسية. كان الهدوء سائداً، وكانت تتوقع أن يكون الجميع ما يزالون نائمين لأن الوقت كان باكراً. لكنها فوجئت بسماع اصوات في غرفة يفترض أن يكون المطبخ، لا بد أن يكون جيوفاني وزوجته من الناس الذين ينهضون باكراً، عند الباب الرئيسي، وقفت مترددة هل عليها أن تفتح المزلاج، لكنها تذكرت أن هناك ابواب تقود إلى الشرفة ولكن في آخر القاعة، فخرجت منها.

حتى في الصباح الباكر كانت اشعة الشمس دافئة، حتى رفعت بريوني رأسها ناحيتها وهي تجول في الحديقة للتمتع بدفئها، كانت هناك حديقة ورود. وعلى بعد منها حديقة اخرى تنمو فيها أنواع عديدة من الخضار التي اصبحت ناضجة. وهناك حديقة شبه دائرية بمقاعد حجرية تصلح أن تكون للجلوس والاستمتاع بأشعة الشمس في فصل البرد. على بعد منها ترى ملعب للتنس، في وسطها الشبكة الفاصلة، ومحاطة بعدة طاولات وكراسي للمشاهدين. بدا المكان هذا كأنه لم يستعمل منذ زمن وذلك من وجود الغبار على الزجاج ووجود أوراق الأشجار الجافة على الأرض. ربما منذ وفاة زوج إيتا.

عليها أن تهتم أولاً بالحديقة كلها قبل بدء افتتاح الفندق. وعليها أن تعمل بعض التحسينات أيضاً في الفيلا، لكنها لاحظت أن النبات المتسلق على البرج المربع في زاوية الفيلا يمنحها منظراً خلاباً. فكرت بريوني، وهي تجول في الحديقة ودفء الشمس التي انعشتها، انها ستكون سعيدة جداً هنا. وصلت إلى المدخل الرئيسي بعد أن تمشت حول البيت ولاحظت وجود بناء صغير يبعد قليلاً عن المدخل

www.elromancia.com

الذي كان مقفلاً باحكام. ارادت أن ترى ما بداخل هذا البناء من باب الفضول فقط، وجدت الباب غير موصد، دخلت، وجدت هناك مقعداً صغيراً، وعدة مقاعد خشبية على كلا الجانبين، وبعض لوحات مكتوباً عليها باللغة اللاتنية اسماء آل كفالري الذين توفوا. وقفت امام كل لوحة لتقرأ ما كتب عليها، حتى انها لم تسمع صوت هدير سيارة ما لبث بعدها أن فوجئت برجل يقف عند الباب، استدارت بسرعة وتراجعت بخوف، بدا الشخص أسود مخيفاً مقارنة بنور الصباح. لم تتبين ملامحه بوضوح لأن نور الشمس كان يبهرها. لا شعورياً ابتعدت عنه إلى آخر الغرفة. وقالت برعب: «من... من أنت؟»

بدلاً من أن يجيب على سؤالها، سألها بحدة: «ماذا تفعلين هنا؟ من سمح لك بالدخول إلى هنا؟»

تقدم منها عدة خطوات، وبخوف ورعب هربت منه حتى انها كادت أن تقع عدة مرات وهي تصرخ: «ابتعد عني.»

توقف الرجل، لكن وجهه كان مايزال غاضباً. وسألها مرة ثانية: «من أنت؟»

قالت: «أنا أسكن في الفيلا، وأنا صديقة الكونتيسة، هي تعرف أنني هنا.»

تغيرت لهجته إل البرودة وقال: «إذاً، لقد عادت.»

زال خوفها الآن. وقالت بعد أن تنهدت ضاحكة: «أنت تعرفها؟ حسناً. لقد ارعبتني، بدوت كأنك... لكن من أنت؟»

سألها: «بدوت كأنني ماذا؟»

هزت رأسها شاعرة بالخزي لتصوراتها الحمقاء لكنه بقي منتظراً جوابها، قالت له: «كأنك شبح.»

قال لها بابتسامة ودعابة: «هكذا، لا أنا لست الشبح، أنا رفايل كفالري.» كانت لهجته الانكليزية متقنة جداً، انما تشوبها لكنها ايطالية.

«كفالري؟ لا بد انك من أقارب إيتا؟ الكونتيسة هنريتيا ديل كفالري، مالكة الفيلا.»

«أنا من أقاربها من جهة زوجها، وهي لا تملك هذا البيت، بل أنا...»

www.elromancia.com

الفصل الثاني

حاولت بريوني ان تقول له انه مخطىء، ولكنها فضّلت السكوت.

قال لها بازدراء: «أظن انها اخبرتك انه بيتها.»

لم يعجبها موقفه المتعالي، بل قالت: «إذا كنت تعني الكونتيسة، فاننا لم نتناقش بملكية هذه الفيلا.»

رفع حاجبيه بكل برود وبضحكة استهزاء قال: «لم تخبريني بعد من أنت؟»

غضبت منه وقالت له بتحدٍ: «هل هذا يعنيك؟»

رد هذا التحدي بقوله: «أظن ذلك، ما دمت مقيمة في بيتي.»

حدّقت به وأرادت الخروج، لكنه وقف بموجهتها ليمنعها من التحرك، وسألها: «لم تجيبي على سؤالي بعد.»

«اسمي لا يعني لك شيئاً.»

«إنما أحب أن أسمعه.»

وبدت في عينيه لمحة من الفوز وهو يراها عاجزة عن الهرب، حدّق بعينيها المليئتين بالعنف والغضب، ثم سمعت خطوات تركض خارجاً وفجأة وصل جيوفاني لاهثاً، وقال متعجباً عندما رأى بريوني: «آنستي!»

«صباح الخير يا جيوفاني.» ثم انتهزت الفرصة لتتخطى رفايل كفالري وتخرج إلى ضوء الشمس، لكنه لحقها وسمعته يتكلم مع جيوفاني بالإيطالية ليسأله عنها، فرد

عليه هذا بأنها تتكلم الإيطالية أحبت عند ذلك، ان ترى تعابير وجه رفايل لكنها فضّلت ان ترجع إلى البيت، لكنها سمعته يقول بتعجب: «أصحيح هذا؟»

كانت ماريا في القاعة عندما سألتها بريوني عن الكونتيسة، أخذتها على الفور إلى غرفة صغيرة إلى اليمين حيث وجدتها تتناول طعام الافطار وهي تقرأ أكواماً من الرسائل.

رحبت الكونتيسة بها، وقالت لها بعد ان لاحظت قلقها: «ماذا حصل؟ من أزعجك؟»

قال رفايل كفالري وهو يدخل الغرفة وراءها: «ربما أنا.»

لاحظت بريوني تغير لون وجه ايتا وارتجاف يدها التي كانت تقبض على السكين الفضية لفتح الرسائل، ثم قالت: «ماذا تفعل هنا يا ريف؟»

«ماذا تظنين اني أفعل؟ أراقب أملاكي طبعاً. إنك لم تزعجي نفسك باعلامي انك راحلة.»

«ذهبت إلى حفلة زواج عائلي. ألا ترحب برجوعي سالمة؟»

«إنني واثق من تقديرك للسبب فيما لو لم أفعل.» أخذ كرسياً مواجهاً لها وجلس عليه من دون ان تدعوه للجلوس. وطلب من ماريا كوباً من القهوة.

نظرت ماريا لترى ردة فعل ايتا، التي وافقت بغضب بينما سألت بريوني إذا كانت تحب ان تتناول فطورها.

قالت ايتا بابتسامة: «طبعاً ستتناولين فطورك، وبما انه صباح دافىء، فالأفضل ان تتناوليه على الشرفة.»

«طبعاً.» واستدارت بريوني لتتركهما، لكنه منعها وهو يقول: «لم تعرفيني على صديقتك يا ايتا.»

قالت ايتا بانزعاج: «بريوني فيررز، أتت معي من لندن، وستبقى هنا لبعض الوقت.»

مدّ يده بكل لطف، وأشارت إليه ايتا قائلة: «انه...»

لكن بريوني قاطعتها قائلة: «لا تزعجي نفسك، لا أحب ان أعرف.» وخرجت من الغرفة وقد استعادت كبرياءها نوعاً ما.

أحضرت ماريا فطور بريوني إلى الشرفة مع القهوة، ولم تكد تبدأ بالأكل حتى جاءت ايتا قائلة بكل ارتياح: «لقد ذهب.»

سألتها بريوني: «من هو؟»

«انه ابن أخ انطونيو.»

«قال انه هو مالك الفيلا، وليس أنتِ.»

تنهدت ايتا وقالت: «حسناً، نعم، هو الذي ورث الفيلا وكل العقارات عند موت زوجي.»

«أتعنين انه كان يقول الحقيقة، وان هذا هو بيته؟»

«في الحقيقة نعم. لكن انطونيو تركه لي لأتصرف به في حياتي، فلا يحصل عليه ريف إلا بعد مماتي أو...»

«أو.»

«أو إذا تزوجت مرة ثانية، أو إذا تركت البيت لأكثر من شهرين.»

«الأفضل ان تخبريني كل شيء عنه، من الواضح انك غير متفقة مع رفايل كفالري.»

«نحن أعداء، فقد كرهني منذ ان أصبحت زوجة انتونيو وأتيت للسكن هنا، وكان عليه ان يترك هنا.»

«كان يسكن هنا في الفيلا؟»

«نعم، انه بيت آل كفالري منذ الجدود. لم اتفق مع ريف، لذلك اقنعت انطونيو بأن يطلب منه الرحيل عن البيت.»

«لكن لماذا وضع لك كل هذه الشروط.»

«لقد أجبره بذلك ريف. اقنعه بوجوب حماية الفيلا. كأني سأخربها برأيه.»

«لكنك ستحولينها إلى فندق.»

«ليس عندي خيار آخر، أنا متأكدة من أن انطونيو ترك لي أرباح الممتلكات لأتصرف بها أثناء حياتي، لكن ريف يحرمني منها قائلاً إنها ليست في الوصية عند زواجنا، طبعاً، سأحصل عليهم بواسطة المحامي، ولكن هذا يأخذ سنوات، وفي غضون هذا الوقت سأعيش واستغل هذا البيت.»

«لكن أكيد ان زوجك ترك لك ما يكفي لـ...» لكنها سكتت وقالت: «آسفة، هذا ليس من شأني.»

«لا أبداً، بالحقيقة، انا سعيدة بأن يكون لي صديقة اقدر ان أتناقش معها، نعم انطونيو استثمر مبلغاً كبيراً لي عند زواجنا، وأعيش من مدخوله الآن، ولكنه ليس كافياً لصيانة البيت ما جعل ريف يطلب مني مغادرة المنزل. وبرأيه انه إذا اوقف دعمي بالمال، أتخلى أنا عن المنزل له والرجوع إلى انكلترا.»

«أظن أنه امتعض عندما أجبر على ترك المنزل، وعدم قدرته على الرجوع إليه عند وفاة عمه، كما كان ينتظر، هل قضى طفولته هنا؟» وعندما أجابتها بالايجاب، أضافت: «ربما يريد ان ينشىء أسرته هنا أيضاً.»

www.elromancia.com

«ليس له أسرة، فهو ليس متزوجاً.»

«حقاً؟ مع انه في العقد الثالث من عمره، ظننته متزوجاً.»

«انه في الثانية والثلاثين، أنا لا أتعجب لكونه غير متزوج، انه من ذلك النوع من الرجال الذين لا يحبون الارتباط.»

كانت تتكلم بعنف أدركت بريوني منه، فجأة، السبب في عدم اتفاقهما؟

سألتها ايتا: «إنه لم يعجبك أنت أيضاً، أليس كذلك؟ وماذا قال لك؟»

هزت بريوني كتفيها وقالت: «لم يزعجني قوله بل موقفه، لقد تصرف معي بقلة أدب كأني متطفلة.»

«هذا من عاداته، يأتي إلى هنا ويتصرف كأنه المالك لهذا المكان، يأمر الخدم كأنه ليس لي الحق أن أكون هنا، ويتحين كل الفرص ليذلني ويخرجني بالقوة.»

نظرت إليها بريوني بعطف قائلة: «أليس من الأسهل لك ان تتنازلي له عن الفيلا والرجوع إلى انكلترا ما دام يجعل حياتك تعيسة؟»

«ماذا؟ أتنازل له؟ أبداً، سأبقى هنا بالرغم من كل شيء، حتى إذا ولو لم أحب هذا المكان، ولكنني أحبه كثيراً، فقد كنت وزوجي سعيدين جداً هنا. ولماذا أترك؟ هذا كل ما حصلت عليه من زوجي ولقد تركه لي أنا. سأتعلق به جيداً، ولن أطرد بواسطة ذلك المحتال.»

انفجرت بريوني ضاحكة وصفقت بيديها: «هذا عظيم منك أنا أساندك لآخر الطريق.»

نظرتا الواحدة إلى الأخرى، وضحكتا، ثم سألتها

بريوني: «وماذا عن مشاريعك بتحويل هذه الفيلا إلى فندق؟ طبعاً ريف لن يسمح لك بذلك؟»

نظرت إليها ايتا نظرة قلق وقالت: «إنك لم تخبريه عن المشروع، أليس كذلك؟»

«لا، طبعاً لا.»

«هذا لحسن الحظ، ريف كان من الأشخاص الذين كنت سأود التكلم لك عنه.»

«كان عليك ان تخبريني قبل رحيلنا عن انكلترا.»

«ربما ما كنت أتيت معي لو أخبرتك هناك، وأنا بحاجة إليك، ومصممة على النهوض بمشروع الفندق أيضاً.»

سألتها بريوني مرة ثانية: «هل سيدعك ريف تفعلين هذا؟»

«إن ريف لا يمنعني، إن هناك محاميان يدرسان وصية انطونيو ولا شيء يمنعني من استعمال هذا البيت كما يحلو لي.»

«أليس عليك ان تطلبي الاذن من السلطات المختصة لتغيير الوصية؟»

«تذكري ان البيروقراطية تعمل على الوجهين.»

«لكن بالتأكيد إذا كان لريف التأثير...»

«نعم، ولكنه لا يريد ان تحصل فضيحة بالنسبة لاسم العائلة، زمام الأمور بيدي، وبإمكاني ان أهدده بعمل ضجة كبيرة ان حاول القيام بأمور غير قانونية ضدي، وأفضل التكتم الآن على خططي حتى تسوى الأمور.» ثم وضعت يدها بيد بريوني للاتفاق وقالت: «أتساعديني، يا صديقتي؟ كان علي ان أخبرك كل شيء منذ البداية، ولكنني بأمسّ الحاجة لفتاة مثلك لتساعدني وترفع من

معنوياتي وتقوّيها، ولكونك تلمين باللغة الايطالية فهذا يساعد كثيراً. ابقي معي؟ أرجوك؟»

كانت بريوني ستوافق على البقاء، على كل حال، ولكن عند التقائها بريف كفالري وما رأته من عجرفة في تصرفاته، زاد إصرارها على البقاء، وقالت لها: «طبعاً سأبقى، لا تقلقي، لن اسمح له بأن يصرفك من هنا.» كان هذا وعداً متفائلاً بالنسبة إلى الطريقة التي عاملها بها ريف عندما منعها من الخروج من تلك الغرفة، ومن شخصيته المسيطرة. وعجبت لما أخذته على عاتقها متعجبة فإذا كان عليها ان تعادي ريف، فانها فكرة سخيفة، لكن ايتا بحاجة ماسة إلى المساعدة، ولقد أعطتها الوعد الآن. وان المستقبل المليء بالمشاكل سينسيها ماضيها الأليم بسرعة.

بعد ان لبست ايتا ثيابها أخذت بريوني في جولة لتُريها الفيلا. بالاضافة إلى الغرف التي رأتها، كان يوجد هناك غرفة طعام كبيرة. مائدة طويلة جداً في الوسط، ومكتبة، وغرفة كبيرة للجلوس. كل الغرف مفروشة بنفس الذوق الفني الجميل. قالت إيتا ان غرف البيت تكفي لاستضافة اثني عشر ضيفاً، وهناك أيضاً غرفتان في البرج يصلحان للاستضافة. قالت لها ايتا: «زوجي وأنا كنا نستضيف كثيراً من الضيوف، لهذا كنا نهتم أن نجهز الغرف بحمامات أكثر. وبما انه لن يمكننا ان نستضيف أكثر من إثني عشر ضيفاً بنفس الوقت، لن يكون هناك حاجة لتجهيز البرج.»

«ماذا عن غرفة الطعام؟ هل سيتناولون كلهم الطعام على المائدة الكبيرة؟»

«أظن ذلك، بهذه الطريقة سيشعرون بأنفسهم ضيوفاً وليس زبائن في الفندق. هذا ما أودّ أنا ان أشعرهم به.»

«حسناً، ولكن إذا استضفنا قلة من الضيوف في البدء، فسيضيعون حول هذه المائدة الكبيرة.»

«إذاً سنستعمل الغرفة الصغيرة، ولهؤلاء أيضاً الذين لا يحبون ان يتناولوا طعام الافطار على الشرفة.»

«حسناً، كم ستطلبين إيجاراً لهذا؟» أعطتها ايتا رقماً من المال ولكن بالعملة الايطالية، وبعد ان حولته إلى العملة الانكليزية قالت: «هل هذا سيكون أجرة اسبوع؟»

فوجئت ايتا وأجابتها: «لا، يا عزيزتي إنه أجرة ليلة فقط، سنحاول ان نجعل الفندق مميزاً.»

«بهكذا أسعار ستفعلين. ولكن أشك بوجود أشخاص يقدرون ان يتحملوا هكذا أعباء.»

«لا، أنت مخطئة. لقد سافرنا كثيراً أنا وزوجي. وكنا نقيم في فنادق غالية وفي نفس المستوى الذي سيكون عليه فندقنا. صدقيني يوجد عدة أشخاص مستعدين ان يدفعوا أي شيء لكي يشعروا بأنهم يقيمون في بيت مريح.»

«لا يحق لي ان أعترض. ماذا عن المساعدين في الفندق لا أظن انك تريدين جيوفاني وماريا ان يسهرا على خدمة كل الضيوف؟»

«طبعاً لا، ولكن سأستخدم أناساً آخرين لتنظيف المكان والغرف كما كنت أفعل عندما كنا نستضيف ضيوفاً كثر، ستساعدك ماريا بتحضير الطعام وجيوفاني سيقدمه للضيوف.»

«يبدو ذلك جيداً جداً، متى تخططين للافتتاح؟»

«بأسرع وقت ممكن، سأتصل بكل اصدقائي لاعلامهم بالمشروع، وهم بدورهم سينشرون الخبر لكل أصدقائهم.»

«هل سيمانع أصدقاؤك بالدفع، لكونهم أصدقاءك؟»

«لا يا عزيزتي، كلهم يعلمون بوضعي الصعب وبالمعاملة السيئة التي أتلقاها من ريف.»

«كل ما علينا إذاً هو تسمية هذا الفندق.»

ابتسمت ايتا وقالت: «لقد فكرت بهذا أيضاً، ماذا عن فندق جيورجيون، انه اسم فنان ايطالي، كان منافساً للفنان رفايل، كما أعلم.»

انفجرت بريوني ضاحكة وقالت: «لا يمكن لأحد أن يغيّرك.» اتصلت بريوني بوالديها ذلك المساء لتخبرهم انها وصلت سالمة إلى صقلية، وهكذا فعلت ايتا بالاتصال بكل اصدقائها في جميع أنحاء العالم، ثم ذهبت بريوني إلى المطبخ، وارتاحت لوجود كل معدات الطبخ الحديثة التي ستحتاجها وللمساحات الواسعة لتحضير الطعام، قالت لها ماريا: «هذا ما طلبه رئيس الطباخين من بالرمو عندما كانوا يستدعونه لتحضير الطعام لكل ضيوفهم.»

أجابتها بريوني: «وهذا يناسبني أنا أيضاً، فأنا رئيسة كذلك.» قضت بعض الوقت تتحدث معهم باللغة الايطالية مع انهم يتقنون اللغة الانكليزية لأنهم اشتغلوا مع ايتا لوقت طويل، لكن بريوني أرادت ان تتوطد العلاقة أكثر بينهم ما داموا سيعملون معاً. وان تشعرهم بمركزها كرئيسة الطباخين.

بعد الاتفاق مع ايتا على الذهاب للتسوق في اليوم التالي، صعدت إلى الطابق العلوي لترى ما ينقصها من شراء

الشراشف للأسرّة وما شابه ذلك. ولكون ايتا وزوجها كانا يستضيفان ضيوفاً كثر وجدت ان عليها ان تشتري القليل. ما عدا بعض الأوراق ودفاتر الحسابات. وكانتا تسجلان ما ينقصهما عندما رن الهاتف، فذهبت إيتا لتجيب. وعندما أنهت المكالمة، عانقت بريوني قائلة: «لقد تحدث إليّ صديق من اميركا. وسيجلب فريقاً من ستة أشخاص ليبقوا عندنا اسبوعين. سيصلون بعد أسبوع، أليس هذا رائعاً؟»

«عظيم. إذاً لقد بدأنا بالعمل.»

في اليوم التالي أخذهما جيوفاني إلى أقرب بلدة للتسوق. اندهشت بريوني لرؤيتها كميات كبيرة من الفواكه والخضار الطازجة، ولكون الجزيرة محاطة بالبحر كان لا بد ان تجد أنواعاً كثيرة من الأسماك والأصداف. رافقتها ماريا لتفسر ما غمض عن بريوني، ثم جلست إلى خوان في مقهى تتمتع بدفء صقلية وطلبت فنجان قهوة بينما ماريا تابعت شراءها، كان المقهى على زاوية عند تقاطع طرق، فقضت بريوني وقتاً ممتعاً وهي تشاهد الازدحام. والسيارات التي كانت تقف عند إشارة السير والناس الذين كانوا يتجهون نحو محطات الباص. لقد تجاهلتهم كلهم، ولكنها لم تقدر ان تتجاهل شاباً بقي محدّقاً بها وهو يسير إلى نهاية الشارع، ثم قفل راجعاً، وحيّاها قائلاً: «أهلاً بك يا آنسة، هل لي أن أجالسك؟» وقبل ان تجيبه، سحب كرسياً جلس عليه.

لم تدرِ كيف ستتصرف. فقد مر الوقت ولم تأتِ ماريا بعد، ولكنها فضّلت لو يتركها لشأنها. لكنه بدا نظيفاً وأنيقاً. سألها: «هل أقدم لك فنجان قهوة؟»

هزت رأسها بالنفي وأشارت إلى فنجان القهوة على الطاولة، وأجابت: «لا، شكراً كيف علمت اني انكليزية؟»

سُرّ لردها عليه وأجابها: «من تعابير وجهك. اسمي اليسندرو إذا كنت في إجازة فبإمكاني ان آخذك وأريك صقلية، لأني أملك سيارة.»

«لا، شكراً. أنا لست في إجازة.»

سألها مرتاباً: «لا؟»

«لا، أنا هنا في عمل، عندي وظيفة.»

«تعملين في صقلية؟ فقط المراسلات يعملن هنا واللواتي يعرفن اللغة الايطالية، أتتكلمينها؟»

هزت رأسها بالايجاب.

لم يصدقها وقال لها: «إنك تمزحين معي يا آنسة.»

ضحكت وقالت له: «لغتك الانكليزية جيدة جداً.»

«لا، ليست جيدة. هل تعلميني اللغة الانكليزية؟»

قبل ان ترد عليه لفت نظرها سيارة توقفت فجأة عند تقاطع الطرق مع ان الاشارة كانت خضراء، وكان السائق غاضباً جداً، كانت سيارة فضية اللون ومن نوع السبور، وسائقها تعرفه من بين مئات الأشخاص، انه رفايل كفالري، بنظراته الغاضبة المحدّقة بها.

أخذت تحدق فيه وقد جمدت للمفاجأة مما اضطره ان يكمل طريقه. لاحظ ذلك اليسندرو وسألها: «هل تعرفين هذا الرجل؟»

«نعم، انه صديق.» كانت تريد بذلك أن تتخلص منه.

«هو بالذات، صديقك؟»

«أتعرفه؟»

قال: «كل واحد في صقلية يعرف صاحب هذه السيارة، سررت بلقائك، يا آنستي الجميلة.»

ضحكت وقالت له: «ألا تريد ان تتعلم الانكليزية؟»

لوح لها بيديه وقال: «كلا. شكراً.»

نظرت إلى ساعتها ووجدت ان عليها ان تنتظر عشرين دقيقة لتأتي ماريا وتأخذها إلى البيت، لذلك طلبت فنجاناً آخر من القهوة وقطعة حلوى، كانت قد جذبتها وهي معروضة في المقهى. ثم تناولت دفتراً وأخذت تدوّن عليه وصفات للأكل تناسب الأغراض التي اشترتها، توقف شخص أمامها ولم يتحرك، بنطاله.

«آنسة فيررز؟»

نظرت إليه بامتعاض وقالت له بلهجة جدية: «سيد كفالري.»

قال لها: «لقد ذهب صديقك؟»

«كما ترى.»

جلس هو أيضاً ولكن من دون الاستئذان، من المؤكد أن الجميع يعرفونه وذلك من السرعة التي أتى بها صاحب المقهى ليقدّم له ما يطلب. سألها: «أنت هنا منذ يومين فقط.»

«نعم، صباح الخير، كيف حالك؟»

«صباح الخير، أنا بخير، شكراً، وأنت كيف حالك؟»

«صحتي جيدة، أليس غريباً ان تمر من هنا؟»

«لا أبداً، كل الشخص في هذه المدينة يمر من هنا.»

«ومن الغريب أيضاً، انك بعد مرورك من هنا قفلت راجعاً.» نظرت إليه نظرة بريئة.

وصلت قهوته، وبينما هو يحرك السكر سألها: «هل سكنت مع ايتا من قبل.»

«لا، هذه أول زيارة لي.»

«ولكنك تعرفينها جيداً.»

«نعم أعرفها جيداً.»

«ولكنك لم يسبق لك أن تعرفت إلى عمي انطونيو؟»

«كلا.»

«إذاً لم تعرفينها منذ زمن طويل، لأن عمي توفي منذ أقل من سنة.»

«أظن انهما لم يذهبا معاً إلى كل الأماكن، أليس كذلك؟ مع انهما كانا لا يكادان يفترقان.»

سألها بكل حدة: «أين التقيت بإيتا؟»

كان من الصعب ان تتجنب هذا السؤال المباشر ولكنها بذلت جهدها، وقالت: «في انكلترا. ألا تريد ان تتذوق قطعة من هذا الحلوى. انها لذيذة جداً.»

تجاهل دعوتها وقال: «أين في لندن.»

«في حفلة.»

«في حفلة، أليس في حفلة الزفاف العائلي التي قالت انها ذهبت إليها؟»

أرادت ان تتخلص منه ومن اسئلته، وقالت: «ايتا وأنا أقارب.»

«حقاً! ما مدى القرابة؟»

أخذت بريوني قطعة حلوى وقالت: «طعمها طيب جداً، هل كل الحلوى في صقلية شهية مثل هذه؟»

«طبعاً، هل زرت صقلية من قبل؟»

«لا، هذه أول زيارة لي.»

رفع ريف حاجبيه عالياً متعجباً وقال: «أهذا صحيح؟ إنك إذاً تتعرفين بسرعة على الأصدقاء.»

«لا، طبعاً، أنا لا أعرف أحداً هنا، إلا أنت طبعاً، والذي لا يمكن أن أدعوك صديقاً.»

«لا يمكن ذلك؟ ولكن من هذا الذي كنت تجلسين معه قبل لحظات؟»

قالت بضيق: «أنا لم أكن معه، كان يحاول ان يعرفني على صقلية.»

«هل سمحت له؟»

«لو فعلت هذا لما كان رحل من هنا.»

«لكنك كنت تتكلمين معه.»

«لم لا؟ إنه لم يكن يضايقني.»

«أتدعين رجال غرباء يتكلمون معك؟»

«قلت لك لم أسمح له بذلك، وتخلصت منه. إنه لمن السهل التخلص منه.»

علم ريف الجواب، وتمهل بضع لحظات قبل ان يسأل: «إذاً، كيف تخلصت منه؟»

وقفت وقالت: «لقد علم من تكون أنت من سيارتك، وسمحت له ان يظن أنك صديقي.» ابتسمت وهي تراه ينظر إليها بعجب وقالت: «الوداع يا سيد كفالري.» ومشت عدة خطوات.

ما كادت تسير عدة أمتار حتى لحق بها وواجهها بقوله بوحشية: «أظن انك تعتبرين ذلك مسلياً، سينتشر الخبر في كل الجزيرة بسرعة البرق.»

«هذا سيىء.»

«حقاً؟ هل يعجبك إذاً ان يظنوك صديقتي؟ إذا أنت تعتبرين التكلم مع الغرباء في الشارع أمراً سهلاً، كذلك لا تهتمين بما يُقال عنك.»

هزت كتفيها وقالت: «انه لا يعرف من أنا.»

ضحك ريف بهزء وقال: «ربما لا يعرف الآن، ولكن من السهل جداً ان يعلم عندما تنتشر الشائعة. وهذا لن يساعد ايتا إذا علم الجميع ان لها صديقة من ذلك النوع، تعيش معها.»

«هل تهددني؟»

«إذا أنت أردت ان تفكري هكذا.»

ثم تذكرت بريوني من حديثها مع ايتا انه لا يحب أية فضائح، وهكذا قالت له: «حسناً، هيا انشر شائعاتك إذا كنت من هؤلاء الرجال، لكن لا تنسى، انهم سيتكلمون عنك أيضاً، وكل هذا من دون فائدة. والآن عليّ ان اذهب لاقابل شخصاً آخر، صاحب المقهى يراقبك. والأفضل ان تدفع له الحساب، إلا إذا أردت ان يُقبض عليك.» وهكذا تخلصت منه وتابعت طريقها.

من الحكمة ان لا تخبر ايتا بما حصل معها مع ريف، عند رجوعها إلى الفيلا. بعد تناولهما الغداء صعدت ايتا إلى غرفتها لتكتب بعض الرسائل. ولكن بريوني ارتابت بأن تلك حجة لكي تأخذ قيلولة وتمشت بريوني في الحديقة بين أشجار الليمون والبرتقال، ومنه إلى ممر يقود إلى بعض الصخور ثم إلى شاطىء البحر، نزعت حذاءها وراحت تركض على الرمل، كانت هناك صخور ممتدة في البحر على جانبي الطريق مما يعطي شعوراً انه شاطىء خاص

بهم، كم هو عظيم ان يكون لك شاطىء خاص بك، وتعجبت لماذا لم تخبرها عنه ايتا.

كان الرمل على الشاطىء ناعماً جداً ونظيفاً أيضاً، مع وجود بعض الحشائش عند ملامسته الماء. الماء كان بارداً، تمشت مستمتعة بكل شيء وكانت تلتقط بعض أصداف البحر من وقت لآخر. ثم لاحظت وجود رصيف، تمشت عليه ووجدت عدة حلقات معدنية تصلح لربط السفن بها. فكرت في أن السفن قد تأتي إلى هنا أو كانت في الماضي. وتذكرت بان صقلية كانت منذ زمن بعيد جزيرة لها علاقات بحرية مع كل دول حوض البحر المتوسط، وتذكرت أيضاً سفن التجار والقراصنة وقصص الطمع والقساوة، واستدارت لترجع إلى الشاطىء الرملي حيث تتمتع بدفء الشمس هناك، فوق رأسها تطير طيور النورس وتغطس في الماء.

فجأة مرت غيمة سوداء كبيرة في السماء مما غطّت أشعة الشمس لبعض الوقت فأصبح لون البحر رمادياً مليئاً بالزبد، فلم يعد الشاطىء كما كان قبل لحظات، أسرعت بريوني خطاها، انتعلت حذاءها وأقفلت راجعة إلى الفيلا.

ذلك المساء، أعطت بريوني إجازة لماريا وجيوفاني لتهتم هي بتحضير طعام العشاء فكتبت لائحة بالطعام على بطاقة بخط أنيق مما أسعد ايتا عند رؤيتها له وقالت: «كتبته بخط جميل جداً ومتقن كأنك خطاطة.»

«لقد أخذت دروساً في الخط، أنا مسرورة لأنه أعجبك، أفكر إذا بالامكان اعطاء الضيوف نسخة من لائحة الطعام كل يوم للاحتفاظ بها للذكرى.»

«طبعاً انها فكرة رائعة، طالما لا تكلف كثيراً إلا وقتك، هل يأخذ منك الوقت الكثير لكتابته؟»

«لا أقدر ان أكتبه بسرعة، لكن هذا لن يُعجب ريف.»

«بالتأكيد.»

«إذا لم تخبريه عن الفندق، فكيف إذاً سيعرف عن اللائحة؟ انه لمن الصعب ان يعرف.»

تنهدت ايتا وقالت: «أظن ذلك، ولكنه كان دائماً يعرف ما كان يحصل. فقد علم بذهابي إلى انكلترا مع انني لم أخبره قط.»

ترددت بريوني لحظة ثم قالت: «هل تظنين ان ماريا وجيوفاني هما اللذان...؟»

قالت ايتا بالحال: «لا، لا، انهم مخلصون لي مئة بالمئة. كانا يعملان في خدمة صديقتي الاميركية التي كانت تسكن في شقة في روما. ثم توفيت، وتركا البيت والوظيفة أيضاً، ثم أنا سكنت في تلك الشقة لمدة سنتين قبل زواجي من انطونيو، فعمل كلاهما بخدمتي، ثم انتقلا معي إلى هنا عند زواجي من انطونيو، وكان ذلك في الوقت المناسب لأن التي كانت مسؤولة وقتئذٍ عن خدمة هذا المنزل كانت قد تقاعدت.»

قالت بريوني: «إذا لم يكونا هما، فمن إذن؟»

أجابت ايتا: «يمكن أن يكون أي شخص يعمل هنا... مثلاً. الجنائني موجود هنا منذ زمن ويعرف ريف عندما كان مقيماً هنا، ولأنه طبعاً يعيش في القرية فانه يتكلم مع جيرانه عن الأمور التي تحصل هنا، وبذلك يكون ريف قد علم.»

«سيعرف عن الفندق إذاً؟»

«ربما، ولكني طلبت من ماريا وجيوفاني ان لا يخبراه أبداً، وبالنسبة لبقية الخدم، سيظنون ان الزبائن هم مجرد ضيوف عندي، سنبقي دفع الفواتير سرية بيننا فقط.»

«سيجعل ريف الأمور صعبة وغير مسرّة إذا أراد ذلك؟»

وافقت ايتا بالحال وقالت: «لقد أراد ان يرشيني بعد وفاة انطونيو، لقد عرض علي مبلغاً من المال لقاء ان أتنازل عن الفيلا له، ولما مانعت قال لي اني سأندم على فعلتي هذه. كان تهديداً طبعاً. ومع انه قالها بكل برودة ولم يصرخ، إلا اني شعرت بالخوف، ولهذا أنا مسرورة جداً بوجودك معي. أشعر بالأمان والثقة الآن.»

ابتسمت بريوني وتركتها للصعود إلى غرفتها للنوم، وهناك، في غرفتها وقفت عند النافذة تنظر إلى ضوء القمر وهي تفكر في ثقة ايتا بها التي في غير محلها. ما الذي بإمكانها عمله لتصد عمله المشين؟ هل بمقدورها هي ان تفعل هذا وخصوصاً بعد ما حصل معها في الصباح في المقهى؟ وبعد ان اقفلت الستائر، رأت أن من الأنسب لها أن تبقى بعيدة عنه.

استأجرت ايتا رجلين في اليوم التالي، من القرية ليشتغلا في الحديقة. وانشغلت هي وبريوني لمدة يومين بتنظيم الغرف والعمل على تنظيم الملفات، تبين لها ان لإيتا نظرة حسابية جيدة. وقد كتبت الحسابات والنفقات وحتى انها لم تنسَ ان تكتب راتباً لبريوني.

قالت ايتا: «لن نرى الضيوف قبل ان ينشر اصدقاؤنا الخبر إلى كل معارفهم.»

سألتها بريوني: «هل فكرت في إحياء حفلات عشاء

لزبائن يقيمون في فنادق أخرى؟ أنا واثقة من انهم عندما يجدون ان الناس متشوقة لرؤية كونتيسة حقيقية، الجو المريح والطعام الطيب، سينتقلون للسكن هنا، أو سيخبرون أصدقاءهم عنا.»

«أعجبتني تلك الفكرة، سنلبس أجمل ثيابنا وأفخمها طبعاً، سنجعلها مناسبة عظيمة لترسخ في أذهانهم ويخبروا أصدقاءهم عنها. ولكن ماذا لو أنهم لا يتكلمون سوى الانكليزية؟ ستقومين أنت بالترجمة ولكن كيف يمكنك ذلك إذا كنت في المطبخ تشرفين على الطعام؟»

قالت بريوني بلهجة تخفيفية: «سنعمل على حل هذه المشكلة. هل تريدنني ان أحضّر قائمة بكل أنواع الأكل ليسهل علينا ان نعرف كيف نحاسب. نحن بحاجة إلى بعض العصير، طبعاً لم نتكلم عن هذا من قبل، هل تعرفين شخصاً يؤمن لنا الكمية اللازمة؟»

«نعم أعرف شخصاً أميناً وملائماً أيضاً.» ثم نهضت ايتا وأشارت لبريوني ان تتبعها. ذهبتا إلى المطبخ وهناك بدأتا برؤية الاغراض المحضرة.

ظهر جيوفاني عند الباب ليقول لهما ان هناك مخابرة هاتفية.

أجابته ايتا: «سآتي حالاً.»

«لا يا كونتيسة، انها للآنسة فيررز، انه رجل.»

قالت بريوني: «لا بد ان يكون أبي، أرجو ان لا يكون حصل أي سوء لجدي أو لجدتي.»

أسرعت بريوني لترد على المخابرة وقالت: «آلو، ماذا حصل؟»

«آنستي.» لكن الصوت لم يكن صوت والدها، وتابع: «هذا رفايل كفالري، كيف حالك؟»

«اني بصحة جيدة، شكراً. فوجئت بمخابرتك هذه، انتظرت أن يكون شخصاً آخر.»

«من؟»

«شخص لا تعرفه، لماذا تخابرني؟»

«بما انه لأول زيارة لك في صقلية، ولم تري تاورمينا بعد، فكرت ان نذهب إلى هناك سوياً ونتناول العشاء بعد ان تكوني قد شاهدت مناظر المدينة؟»

«ماذا؟»

«قلت...»

«لا، سمعتك، لكن لا أصدق ما أسمع.»

«هل أدهشك هذا؟»

«نعم.»

«لماذا؟»

«لأننا لسنا في مستوى اجتماعي واحد.»

«سنتغلب على هذا، ثم إذا كان للشائعة التي بدأتها أنتِ ان تنشر، فلماذا لا نستفيد منها. ما رأيك؟»

«آسفة جداً، ليس لي مزاج هذه الليلة لإرضاء غرورك. الوداع.» وأقفلت الخط.

توردت وجنتاها، ثم ذهبت لملاقاة ايتا في غرفة الجلوس التي سألتها: «لم تكن أخباراً سيئة. أليس كذلك؟»

«ماذا.»

«عن جدك وجدتك؟»

«لا، لم يكن المتصل بي أبي. كان ريف.»

قالت ايتا بتعجب: «ريف، لماذا يتصل بك؟»

«ليدعوني لتناول العشاء في تاورمينا.»

«لكن لماذا؟ لا بد انه بواسطتك سيتمكن ان يتغلب علي. ماذا قلت له.»

«طبعاً لا، ولكن لا أظن انه أنت مطلبه.» وأخبرتها بكل اختصار ما حصل لها في الصباح معه في المقهى.

ضحكت ايتا وقالت: «هذا يعجبني، لا بد انه غضب جداً، أظن انه عدونا المشترك الآن، سنحاربه معاً.»

تكلما لبعض الوقت، ثم ذهبت ايتا إلى منزل صديقتها لتتناول العشاء، وبما أن الوقت كان ما يزال مبكراً لتناول العشاء. فضلت بريوني ان تذهب إلى كوخ الحبوب وتحضر اللائحة بأسماء ما ينقصها. فعملت هناك قرابة الساعة قبل أن تسمع الباب ينفتح ووقع خطوات رجل.

قالت بريوني: «أنا هنا يا جيوفاني.»

تقدمت الخطوات أكثر، لكنه كان ريف واقفاً أمامها.»

قالت له غاضبة: «هل عليك ان تظهر فجأة مثل الشبح.»

قال لها: «لم تتركي لي أية فرصة.»

الفصل الثالث

دوى صدى الصفعة في أنحاء الكوخ. رفع ريف يده ليضعها على خده مكان الصفعة، لم يبد عليه أي ألم أو حتى بدت عليه الدهشة فقط وقال: «لا يتصرف أحد قط نحوي بهذا الشكل.»

قالت بريوني بحدة: «ادهشتني.»

«أنت أيضاً.» ونظر اليها هازلاً.

لقد حيرها هزله هذا نظرة ريف المسلية. لقد انتظرت منه ان يكون غاضباً منها لصفعها اياه، لجرحها كبريائه ولرفضها وجوده معها في نفس الغرفة. توقدت عيناها بالغضب وقالت: «إذا كنت أتيت لهذا السبب، فيمكنك أن تخرج الآن.»

نظر إليها متأملاً وقال: «كان علي أن آتي، إنك لم تعطني أي خيار.»

«عن ماذا تتكلم.»

«رفضت دعوتي للعشاء، لهذا قررت ان أوافيك إلى الفيلا.»

«ألم تفكر ان تنتظر لتتلقى الدعوة.»

«نعم فكرت في هذا، وان علي ان أنتظر بعض الوقت، وهكذا دعوت أنا نفسي بدلاً عنك.»

قالت له: «لا أظن أنك وإيتا...»

«لكن إيتا ليست موجودة هنا الآن. وعلمت انها ستوافي

صديقتها إلى العشاء.» كان صادقاً بمعلوماته عن إيتا. لا بد ان شبكة التجسس التي يستخدمها توافيه بالمعلومات الصحيحة.

ثم أضاف: «قال لي جيوفاني أنك موجودة هنا في الكوخ، وهكذا فكرت انه لفكره حسنة ان اكلمك هنا.»

«ما يجعلك تفكر انني أريد ان اكلمك؟»

«هل ستتناولين طعام العشاء وحيدة؟»

«أنا لا أمل الوحدة.»

«إنك لن تملي من كلامي كذلك.»

وجدت نظرات الرضى في عينيه، ولكنه تراجع عدة خطوات عنها. والتقط دفتر السجل وبدأ يتصفحه.

قال لها: «انك تصححين السجلات، هل طلبت منك إيتا ذلك؟

«لا، أنا تبرعت بذلك.»

«آه، طبعاً.» ثم وضع الدفتر جانباً وسألها: «هل ستبقين في صقلية لوقت طويل؟»

سؤال آخر لم تكن مستعدة للاجابة عليه. ولكنها أجابت: «ماذا تعني لوقت طويل؟»

نظر اليها بسرعة وقال: «معظم الناس يأتون إلى هنا في عطلاتهم ليمضوا ثلاثة او اربعة اسابيع فقط.»

«انها لا تكاد تكفي لرؤية الجزيرة بأكملها برأيي.»

«لا، لكن هذا هو كل ما لديهم من وقت.»

«أظن ذلك.» ثم استدارت لتخرج من الكوخ وقالت: «سأكمل هذا العمل لاحقاً.» وخرجت من دون ان تنتظر جواباً منه او لتنتظره.

وجدت جيوفاني في القاعة قائلاً لها: «آسف يا آنستي لم أقدر ان امنعه.»

«لا بأس يا جيوفاني.»

قال لها: «ماريا وأنا سنذهب إلى المدينة الا اذا أردت ان نبقى...» ثم توقف عن الكلام لما رأى ريف يتبعها.

ترددت بريوني، لم تكن لتريد ان تبقى بمفردها مع ريف، لكنها لم تر لماذا على الكل ان يغيروا مشاريعهم بسببه. وواجهت جيوفاني بقولها: «إذاً عليك بالذهاب. لأن السيد كفالري سيذهب أيضاً.»

أجابها ريف: «أذهب؟ ظننت اننا سنتناول العشاء معاً.»

«لا، لن نفعل.»

أحنى رأسه وقال: ولا حتى اذا وعدتك بأن أتصرف كسيد محترم. هل هذه الجملة مناسبة؟»

«نعم، الجملة مناسبة ولكن ليس وضعك، أنت لست سيداً محترماً.»

رفع رأسه منزعجاً، ثم هز كتفيه وقال: «ربما أنا استحق هذا. حسناً يا آنستي، سأغادر.» ثم غادر الغرفة بعدما فتح له جيوفاني الباب.

بعد مغادرته، ذهبت هي وجيوفاني لتوصد كل الأبواب والشبابيك. وبعد ان غادر جيوفاني وزوجته، اخذت عشاءها على صينية لتتناوله في غرفة الجلوس ولتتفرج على التلفاز. وهي تفكر في ريف. شبهته بجبل الثلج بشخصيته الغامضة ـ او كقطعة الماس يظهر وجهاً او وجهين من الأوجه الكثيرة التي له ـ لأنه تغير فعلاً بعد صفعها اياه.

بعدما انتهت من عشائها، اقفلت التلفاز، وذهبت إلى الشرفة لتتمتع بهدوء الليل، كانت أمسية جميلة حيث كان القمر ينشر شعاعه الفضي على الأشجار في الحديقة ويعطي ايضاً ظلالها. والعبير المنعش يفوح من انواع متعددة من الورود، قالت في نفسها: «غداً صباحاً سأشم كل نوع من الورود، لأميز عطرها.» وبعيداً، رأت البحر تحت ضوء القمر يتحرك ببطء.

كل شيء كان جميلاً جداً يستحق التعب من أجله، كما يتعب ريف ولكن بطريقته الخاصة. كانت صدمة له عندما تزوج عمه في عمر متقدم، تاركاً البيت لأرملته وليس له. وخصوصاً انه ربي في هذا المنزل معتبراً اياه بيته. ومع ايتا الحق في ان تخاف منه أن يطردها منه.

ثم فكرت بدورها هي في كل هذا، لم تكن بنفس عمر ايتا لتستضيفها، مما أثار شكوك ريف، لهذا تملكه الفضول لمعرفة المزيد عنها، وانزعج اكثر عندما لم يعطه احد جواسيسه اية معلومات عنها لأنهم هم لم يعرفوا شيئاً. لهذا ربما قرر ان يستعلم بنفسه عندما دعاها إلى العشاء هذا المساء. لكن هل سيكون فكره، جعلها هي جاسوسة على إيتا بدلاً من جيوفاني وماريا لأنه لا يقدر ان يرشيهما ليقوما بهذا العمل؟ آخر شيء تود عمله هو ان تؤذي ايتا او تفسد مشروعها. وتابعت تفكيرها عن ريف وماذا يريد منها ربما... وفجأة سمعت صوتاً يناديها: «يا بريوني، هل أنت هنا؟» كان الصوت آتياً من غرفة الجلوس وكانت إيتا تناديها. ذهبت اليها بسرعة واغلقت باب الشرفة وراءها كأنها تريد ان تبقي الاخطار في الخارج.

«عزيزتي بريوني، هل شعرت بالملل بمفردك؟»

«لم أكن بالضبط بمفردي، لقد اتى ريف.»

«ريف؟ ولكنك قلت له انك لا تريدين ان تريه.»

«لهذا السبب أتى. لقد قرر أن يدعو نفسه للعشاء هنا.»

نظرت اليها إيتا برعب وقالت: «هل سمحت له بالبقاء.»

هزت بريوني رأسها بالنفي وقالت: «كنت أفكر لماذا أتى، ولماذا دعاني للعشاء معه؟»

«لأنه أعجب بك. هل هناك سبب آخر برأيك؟»

«أظن انه يريدني ان أتجسس عليك.»

«هل تظنين ذلك؟»

«أنا متأكدة. بما ان لديه جواسيسه، فقد اخبرني بنفسه انه علم بذهابك إلى العشاء مع صديقتك. كيف تمكن من معرفة ذلك كله؟»

«هذا سهل جداً، السهرة كانت سهرة خيرية، وقد دعي للذهاب اليها، ولكن ريف لم يذهب بل اكتفى بارسال تبرعاته. وبوجود عدد من الأصدقاء لم يكن من الصعب عليه معرفة ذلك، انه مجتمع صغير كما تعلمين.»

«حسناً، بما ان ريف يكلف نفسه العناء بمعرفة كل مشاريعك، فليس من الصعب عليه ان يكون علم بذهابك إلى انكلترا.»

«هذا صحيح، لكن هل يحاول ان يجعلك جاسوسة علي... ماذا قال لك؟»

«دائماً يسألني ما مدى علاقتي بك وكم ستدوم اقامتي هنا، إنه يعرف اننا أقارب هذا كل ما يعلم. لم أخبره لماذا انا هنا بالطبع.»

«انه بالغ الفضول. وسيبدأ بالشك اذا لم نكن اكثر حذراً. سنفكر بقصة ترضيه، لنبعد عنه أي شك بمشاريعنا.»

اقترحت بريوني: «ستقولين له اني أتيت إلى هنا لتحسين لغتي الايطالية.»

«نعم، ولكن اذا كان هذا هو السبب الوحيد، فلماذا لم تقوليه منذ البداية. علينا ان نقول دائماً الحقيقة.»

«عن الفندق؟ أظن انك لا تريديه ان يعلم به.»

«طبعاً لا، اعني نقول الحقيقة عنك أنت. عن انفصالك عن جيف وانك أتيت هنا للنسيان. أليس هو سبباً من الأسباب لوجودك هنا؟»

«نعم، ولكني لا أريد ان يعلم كل الصقليين بقصتي وخصوصاً ريف.»

«هذا سيحل مشكلتنا ويحول دون شكوكه وظنونه، أليس كذلك؟»

«اسمعي يا إيتا، لا أريد أن يفكر الجميع بأني يائسة بينما أنا لست كذلك؟»

«لكن لا أحد يعرفك في صقلية، هل يهمك رأيهم؟» فكرت بريوني بأن ريف يعرفني، ولكن لماذا تهتم برأيه ما دامت لا تهتم له. وكما قالت ايتا، هذا سبب كافٍ لمنعه من تدخلاته. ثم قالت: «نعم، أظن انها أحسن طريقة.»

قالت إيتا: «عزيزتي، هذا عظيم، سننجح.»

«لكنك لن تخبريه في الحال.»

«طبعاً لا، هناك طرق أسهل من هذا، سنجتمع هنا بعد يومين لحفلة خيرية أيضاً. وبما ان النساء المجتمعات سيلمحنك هنا، سيسألن عنك بالطبع. سأقول لهن ولكن

بطريقة سرية جداً. وهكذا سينشر الخبر بكل كاتانيا، بظرف يومين فقط.»

ثم تثاءبت وقالت: «انا متعبة، سأصعد للنوم. شكراً جزيلاً لك، يا عزيزتي وآسفة لما أزعجك به معي. ولكنه سيرضي فضول ريف فيتركنا. أراك غداً تصبحين على خير.»

لكن بريوني لم تنم جيداً، فالحديث عن جيف، أعاد اليها ذكريات الماضي. وبدأت تفكر فيه، أتراه عاد إلى الشقة. واكتشف ان اغراضها قد سحبت منها، وماذا يكون ردة فعله تجاهها. ولكنه لا بد أن يكون الآن قد نسيها تماماً.

شعرت بالوحدة واليأس. ولكنها بدأت تفكر بالمستقبل لأنها فتاة متفائلة جداً. وليس عليها ان تفكر بالماضي الذي مضى. وليس لها مستقبل مع جيف. ربما كان من مصلحتها أن تسبب هو بالانفصال. لو انها لا تزال تحب جيف لما شعرت بشيء من ناحية ريف، ثم راح تفكيرها كله لريف. قضت بعض الوقت بالتفكير به، ثم نامت.

بعد يومين اجتمعت السيدات لحفلة شاي عند ايتا، كن من التابعية الصقلية، لم تجلس معهن بريوني. إنما رأينها من الشبابيك التي تطل على الحديقة. لأنها كانت تتمشى هناك، وبعد ذهابهن قالت لها إيتا: «سارت الأمور تماماً كما خططنا. لقد كن متحمسات جداً ليعرفن من أنت، وأخبرتهن بكل سرية طبعاً، عنك، ولكن اخذت وعداً منهن ان يحفظن هذا سراً بيننا. ولكن أنا متأكدة ان الخبر سينتشر في كل المدينة غداً صباحاً.»

«هكذا لن نرى ريف أبداً.»

«أتمنى ذلك من كل قلبي؟»

ابتسمت بريوني موافقة، ولكنها احست ان في داخلها شعوراً بالخيبة. انشغلت بريوني كثيراً ذلك الأسبوع للتحضير لاستقبال اوائل الضيوف عند نهاية العطلة الأسبوعية. بتنظيف الغرف وتجهيز الأسرة بملاءات نظيفة، وتحضير انواع عدة من اصناف الطعام، وكل شيء كان يسير بالطريقة المثلى الى ان فجرت ايتا القنبلة. كانتا جالستين في غرفة الجلوس ذات مساء. كانت بريوني تكتب لائحات الطعام بينما كانت إيتا تقرأ الرسائل، وفجأة صرخت إيتا صرخة حادة، مما جعل بريوني تقفز ناحيتها وتحدق بها قائلة: «ماذا حدث؟»

أجابتها إيتا: «هذه الرسالة هي من اوائل ضيوفنا، يؤكد لنا بأوقات قدومهم. ولكنه يقول... انه يريد دليلاً سياحياً ليكون معهم في كل زياراتهم للتفرج على الجزيرة.»

قالت بريوني متعجبة: «وما الضرر من هذا؟»

اجابتها إيتا: «لأن معظمهم محجوزون بواسطة الفنادق او الشركات السياحية. ومن المستحيل ان نحصل على اي دليل بوقت قصير. واذا حصل ذلك، فسيعرف الدليل بمجرد التكلم مع ضيوفنا اننا ندير هذا المكان كفندق، وسينتشر الخبر بسرعة.»

وأكملت بريوني عنها: «وسيعرف ريف أيضاً.»

«بالضبط، وماذا سنعمل؟»

«يمكنك ان تطلبي من ضيوفك ان يقولوا له انهم ضيوفك.»

«لا يمكنني ذلك.» ثم وضعت الرسالة جانباً وأضافت: «علي ان أفكر.»

«ألا يوجد أي دليل تثقين به ويحفظ لك السر؟»

قالت ايتا: «لا أعرف اي احد.» ثم جلست في كرسيها تفكر لبضع دقائق، ثم فجأة انفرجت اساريرها وقالت: «طبعاً، الجواب سهل.»

«وما هو؟»

«أنت تتكلمين الايطالية، وهكذا ستكونين انت دليلهم.»

قفزت بريوني واقفة وقالت: «هل جننت، أنا لا أعرف الجزيرة.»

«ولا حتى هم، يمكنك ان تقرأي كل شيء عن الجزيرة. قبل أن تأخذيهم إليها.»

«عندي فكرة أحسن. لماذا لا تأخذيهم أنت؟»

«أنا لا أعرف الايطالية، وعادة الدليلة تكون شابة وجميلة. هذا إلى أنه من غير المعتاد ان تكون مالكة الفندق هي نفسها الدليلة. فأنت ستكونين الأنسب.»

«اسمعي يا إيتا، هذا مستحيل، على الدليلة ان تعرف الأماكن جيداً التي ستذهب معهم اليها، ومن المفترض بي ان اكون في المطبخ هنا، فكيف أوفق بين الوظيفتين؟»

«يمكنك ان تأخذيهم صباحاً، وترجعي في الوقت الذي ترينه مناسباً وكافياً لتحضير طعام العشاء، ولا أظن انهم يريدون أن يذهبوا كل يوم. يقول صديقي في رسالته انهم يخططون لاستئجار سيارة كبيرة الحجم لتسعهم كلهم. ويريدون معهم دليلاً.»

«خطرت لي الفكرة المناسبة، سيكون جيوفاني الأنسب، بالاضافة إلى كونه سيسوق السيارة هو يكون دليلهم بما انه يتكلم الانكليزية.»

«جيوفاني هو شخص ممتاز لادارة هذا المكان وأنا

بحاجة اليه هنا، فضلاً عن انه لا يبدو دليلاً جيداً لهكذا فندق مميز.»

فكرت بريوني بهذا جيداً، نعم ان جيوفاني رجل ممتاز في عمله في البيت وينفذ الأوامر بحذافيرها، ومن المستحيل تخيله دليلاً سياحياً لسائحين اميركيين في زيارة كل الأماكن في صقلية، وكان لا بد لها ان تخضع للأمر الواقع وقالت: «ولكنني لا أعرف اي شيء عن صقلية ولا حتى زرت اي مكان للآن.»

«هذا سهل، بما انه لديك ثلاثة ايام ليصلوا، وحتى أربعة، لأن اليوم الأول لوصولهم، لا أظن انهم سيذهبون لأي مكان، يمكنك ان تقرأي كل التفاصيل عن الأماكن التي ستأخذينهم اليها، ويمكنك أيضاً ان تذهبي لزيارتها أولاً.»

«انك تسهلين الأمور.»

«نعم يا عزيزتي، هناك العديد من الكتب التي تتكلم عن تاريخ الجزيرة. ومعظمها في الإيطالية: يمكنك ان تقرأي وتذهبي إلى جبل ايتنا، لأنه المكان الذي يزوره معظم السائحين، أولاً. وفكري بهذه المناسبة العظيمة لك لتشاهدي الجزيرة.»

وجدت بريوني نفسها جالسة على سريرها مساء محاطة باكوام من الكتب التي تتكلم عن تاريخ الجزيرة. واستعانت بكتاب دليل عن الجزيرة. ولم يكن ذلك سهلاً عليها لأن صقلية كان لها تاريخ طويل وعنيف. كونها احتلت عدة مرات من قبل عدة شعوب كاليونانيين والرومان، والعرب، والجرمان والأسبان قبل ان تنال استقلالها بواسطة القائد جاز بالدي. وأصبحت جزءاً من ايطاليا.

بقيت ساهرة حتى الساعة الواحدة وهي تقرأ وتقرأ حتى تعبت عيناها، عندها اطفأت النور واسترسلت في النوم حالاً. ونهضت باكراً في اليوم التالي لتذهب وتزور جبل ايتنا مع جيوفاني في سيارة زوج إيتا الرولز رويس.

أسرع ليفتح لها الباب الخلفي، ولكنها أصرت على الجلوس بجانبه لتبدو كدليلة حقيقيه. ففتحت الخريطة عن الجزيرة وابتدأت تحفظ الطريق وهما يسيران بين طرقات المدينة شاهدت الطلاب يذهبون إلى مدارسهم والنساء إلى أشغالهم ولكنهم كانوا يقفون ليشاهدوا السيارة وهي تسير بقربهم، مرّا ببلدة كاتانيا، ومنها إلى الجبل الذي بدا لهم من بعيد اكبر بركان فعّال في اوروبا. يغطي قمته الثلوج ومن خلالها يمكنك ان ترى سحباً من الدخان التي تصعد من ذوبان الصخور من داخل الجبل.

كان الطقس جميلاً، مما أتاح لها أن ترى المناظر الأخاذة، بوضوح وهما يصعدان الجبل، ويمران بحقول وبساتين البرتقال والليمون، حتى وصلا إلى غابة مليئة باشجار البلوط والصنوبر. وبذوبان الثلج فقد جرت السواقي في الحقول كاشفة عن الحمم الآتية من فوهة البركان. عندما وصلا إلى نهاية الطريق اوقف جيوفاني السيارة بقرب عدة مطاعم سياحية، لبست بريوني معطفها لأن الطقس كان بارداً جداً هناك.

كان هناك بعض الزائرين يتزلجون بافخم لباس التزلج مما أثار فضولها. ذهبت بمفردها لأن جيوفاني رفض مرافقتها خوفاً من الارتفاع. صعدت باحدى المركبات الزجاجية «التليفريك» وأخذت تتمتع بالمناظر الخلابة وهي

تصعد حتى وصلت إلى آخر المحطة، فخرجت منها ووجدت ضالتها في بقعة مليئة بالثلج. كانت قريبة جداً من القمة وكان بامكانها ان تشم رائحة الكبريت وان ترى الدخان الصاعد من الفوهة. نار وجليد. متناقضين ولكنهما خطران في أعلى قمة البركان، لقد اعلمتها إيتا انه بالامكان استئجار نوع خاص من العربات تنقل السائحين إلى أعلى قمة البركان. ولما سألت بريوني عنها قيل لها انهم لا يشغلونها في وقت مبكر من السنة. فهذه هي آخر نقطة تقدر ان تصعد اليها.

اغتنمت بريوني فرصة وجود عدد قليل من الزائرين، فبدأت تتكلم مع الشخص الذي يشغل المركبة، فأعلمها انها تقدر ان تستأجر ثياباً سميكة وأحذية جلدية تقاوم الجليد ويمكنها أن تذهب سيراً إلى أعلى القمة اذا احبت. وأشار الى بناية كبيرة كانت تشغل قبلاً كمسكن للصاعدين إلى القمة، ولكنها دمرت في آخر انفجار للبركان قبل عدة سنوات. فبدت لها مغطاة بالثلوج من بعيد، ولما اقتربت تمكنت من الرؤية بوضوح، فرأت من خلال الشبابيك ان الغرف في الداخل مليئة بالحمم المتجمدة، وتمكنت من أن تشم رائحة الكبريت القديمة بالرغم من الصقيع. ارتجفت من البرد. فقفلت راجعة وهي مسرورة. ودعت جيوفاني إلى مقهى لشرب فنجان من القهوة الساخنة.

بعد أن اكتشفت كل الأماكن هناك اشترت كتاباً وشريط فيديو عن جبل ايتنا لترضي فضولها عن المكان ولتساعد زوار الفندق وتخبرهم عن المعلومات كلها.

سألها جيوفاني وهو ينتظرها بصبر عند السيارة: «والآن إلى أين؟»

نظرت إلى دليل السياحة في يدها ولمحت اسم «تاورمينا» نفس المكان الذي كان ريف قد دعاها لتزوره، فترددت ثم قالت: «سنتناول الغداء ثم نذهب إلى تاورمينا.»

تكلمت مع جيوفاني على مائدة الغداء بالايطالية للتمرن على اللغة. وسألته عدة اسئلة عن الجزيرة، فوجدت انه يعلم القليل عن هذه الجزيرة مفضلاً التكلم اكثر عن روما. المكان الذي ربي هو وماريا فيه.

سألته: «ألا تحب السكن هنا؟»

أجابها: «طبعاً أحبه، المكان هنا جميل ولكنه هادىء مقارنة بروما.»

نعم معه حق، المكان الذي توجد فيه الفيلا هادىء جداً، ولكنها وجدت المدينة، صاخبة، ولما قالت له ذلك هز رأسه مؤكداً: «لا، لا بالمقارنة مع روما، هذه البلدان تبدو قرى.»

كانت الرحلة إلى «تاورمينا» جميلة جداً. لم تنتظر بريوني ان تكون البلدة على مرتفع كما وجدتها. وكان الجو دافئاً بعد الظهر وخصوصاً بعد الصقيع الذي كان على جبل ايتنا. لذلك انتزعت معطفها عند خروجها من السيارة وقالت لجيوفاني: «لا أعرف متى سأعود.»

أجابها: «هذا غير مهم، أرجوك خذي وقتك كما تريدين.»

أرادت ان تذهب إلى أشهر المسارح اليوناينة التي كانت تجذب انظار السائحين، لكنها فضلت ان تذهب اولاً وتتمشى في الشوارع الجميلة، حتى كادت ان تنسى نفسها هناك وتنسى المسرح. بما ان الوقت كان لا يزال باكراً لازدحام السائحين لأنه كان الربيع الا انها وجدت عدداً كبيراً من

الناس يتمشون في الشوارع ويجلسون في المقاهي، او يقفون متعجبين من المنظر الجميل بين البنايات المشيدة على الشاطىء في أسفل التل.

بعد اسبوعين يكون ذكرى زواج والديها. لذلك تمتعت بالتجوال في المحلات لتختار هدية تعجبهما. احتارت ماذا تختار لوجود اشياء كثيرة جميلة. وأخيراً اختارت حلقات فضية تستعمل للف المناشف على طاولة الطعام، وذلك لسهولة ارسالها بالبريد اليهما. واشترت كذلك زجاجة زيت اللوز لاستعمالها في تحضير بعض أنواع الطعام. واعجبها حذاءان جميلان غاليا الثمن فلم تقدر ان تقاوم الإغراء إلا بشرائهما.

بعد أن انتهت من الشراء ابتدأ الجو بالبرودة فلبست معطفها وتذكرت ان عليها ان تزور المسرح. لذلك أسرعت إلى هناك ولحسن حظها كان الباب لم يوصد بعد. اشترت تذكرة ودخلت إلى ممر يقود إلى سلم ببعض درجات، هناك على قمة الدرجات وقفت مندهشة أمام مكان مفتوح رأت منه أجمل منظر للشاطىء لم تر مثله من قبل، وقفت هناك في مكان تتأمل فيه الخليج المنتشر امامها، انه لمنظر رائع حقاً، وتمنت لو معها آلة تصوير لتأخذ صور له.

سمعت وقع خطوات على الممر خلفها، وارادت ان تخطو مبتعدة عندما جمدت في مكانها وهي ترى ريف الذي لم تبد عليه الدهشة لوجودها هناك. اقترب منها وقال لها: «هناك منظر اجمل، أمامك.»

لم تعرف ماشعرت به من هول المفاجأة ولكنها لم تقل اي شيء، فقط تركته يقودها إلى نهاية الممر. تمهل في

المدخل ليسمح لها ان ترى عن كثب الأعمدة الباقية وآثار المسرح. ساعدها على تخطي الدرجات بين المقاعد لتصل إلى الأعلى.

لكنها صدته وقالت له: «أرى ان بإمكاني تدبير نفسي.»

كادت لتصل إلى القمة وهناك وقفت ونظرت حولها ولم تمنع نفسها من أن تهتف متعجبة: «أوه، ما أروعه من منظر.» لرؤيتها قطع القرميد تحت أشعة الشمس بلونها الوردي. تحتها تماماً ومن هناك تمتد اشجار السرو بألوانها الخضراء الداكنة ومن ثم رأت من خلال الأشجار الخليج الذي يمتد بشكل دائري في البحر الأزرق الذي يمتد بدوره إلى الأفق البعيد. استدار ريف إلى الناحية التي على يمينه وقال لها: «انظري هناك.»

نظرت إلى المكان الذي أشار اليه ورأت جبل اتينا، بقمته البيضاء وقاعدته الغارقة في ضباب. جلست على أحد المقاعد الحجرية تفكر بهؤلاء الذين قعدوا قبلها منذ أكثر من الفي سنة ورأوا هذا المنظر الرائع. لقد تأثرت كثيراً حتى شعرت بدمعة تنحدر على خدها. مسحتها بيدها بسرعة لئلا يراها ريف، الذي لحسن حظها لم يلحظها لأنه بدأ بالتكلم عن المسرح وعن تاريخه. ثم سألها: «هل انت أحسن الآن.» اذن، فهو قد لاحظها ولكنها سألته: «كيف علمت اني هنا؟»

أجابها: «كل سائح يأتي إلى تاورمينا، ومن يأتي إلى تاورمينا، عليه ان يرى المسرح.»

«هذا لا يعطي جواباً لسؤالي.»

«لا، ولكن احدهم رآك وأنت تغادرين في السيارة.»

«جواسيسك في القرية.»

«نعم، أحب ان أعلم كل شيء عن إيتا.»

«أظن أنك علمت اني سآتي إلى هنا؟»

هز رأسه: «انتظرتك ان تفعلي هذا، بالاضافة إلى اني ارسلت شخصاً ليراقبك. وعند وصولك إلى هنا، اتصل بي هاتفياً.»

حدقت به متعجبة بتماديه معها ليعرف عنها أين ذهبت ويتبعها، وسألته: «لماذا؟»

أجابها: «المرأة الايطالية لا تسأل هذا السؤال. انها بهذه الطريقة تعرف اني أريد أن أراها مرة ثانية.»

«لكنني لست ايطالية. وأعرف انه ليس لهذا السبب.»

«حقاً؟»

«نعم، أنا متأكدة من ان السبب الوحيد لرغبتك في أن تكون معي، كقولك، هو انك تريديني أن أتجسس على إيتا.» ثم وضعت يديها على خصريها ورفعت صوتها بغضب وأضافت: «أقول لك الآن وهنا بالذات انه ليس لدي الرغبة بتحقيق عملك القذر هذا. أنا احترم إيتا جداً. وأظن أنه من العمل المشين محاولتك ان تطردها من بيتها وسرقتك لأموالها والتجسس عليها. إذن، عليك بالتوقف عن ملاحقتي. لا أريد ان أعمل اي شيء لك ولا أريد ان أراك مرة ثانية، هل تسمعني؟»

«نعم أسمعك وأظن ان كل شخص في «تاورمينا» سمعك أيضاً.»

نظرت بريوني حولها ورأت ان الاشخاص الباقين في المسرح كانوا ينظرون اليها. شعرت بالاحراج الشديد، ثم

ركضت ناحية السلم، لكن ريف لحقها وقال لها: «ستكسرين رجلك اذا ركضت على هذه الحجارة.»

قالت له بغضب: «أرجوك، اتركني وشأني.»

نظر اليها للحظة طويلة، هز برأسه وقال: «لا، لا أظن أني سأفعل.» بل قادها لينزلا السلم يرغمها على الذهاب معه. قال لها: «أظن اني سأفعل مثل ما صممت.»

«ألا وهو؟»

«ان أدعوك إلى العشاء.»

«سبق وقلت لك اني لا أريد...»

«لكني مصمم، اعرف مطعماً جيداً يقدم أشهى المآكل المستخرجة من البحر. لا أظنك تريدين فقدان هذه الفرصة. أليس كذلك؟»

«ان كان هذا يعني ان اتناول الطعام معك. فلا بأس بذلك، في اي وقت.»

وصلا إلى بوابة المدخل ومن هناك أخذا يمشيان في الطرقات التي تؤدي الى الساحة مكان انتظار جيوفاني في سيارة الرولز رويس. في هذه اللحظة وقالت له: «الا تسمع يا سيد كفالري؟ اني لا أريد ان أتناول طعام العشاء معك.»

«عليك ان تدعوني برفايل، او حتى ريف مثل ما تدعوني إيتا.»

«هناك اسماء كثيرة أدعوك بها ولكن ليس بريف. الوداع.» وأسرعت خطاها إلى حيث أوقف جيوفاني السيارة.

بما أن الوقت كان مساء وقد أضيئت المصابيح في

الشوارع. كان هناك صف كبير من السيارات متوقفة في الساحة، لكن سيارة الرولز رويس لم تكن بينهم، توقفت فجأة ظانة انها قد تكون قد اخطأت المكان. ثم تعرفت إلى المقهى على الزاوية. ثم راودها الشك واستدارت لتنظر إلى ريف الذي لحقها بهدوء. هز رأسه وقال: «نعم لقد ارسلته الى البيت، ليس عندك اي خيار آخر سوى ان توافيني إلى العشاء؟»

الفصل الرابع

نظرت بريوني حواليها بوحشية وقالت: «أنا لا أصدقك، لا يمكن لجيوفاني ان يتركني ويذهب.»

أجابها ريف بهدوء: «لا، ولكني أخبرته ان ايتا تريده ان يرجع إلى الفيلا وطلبت مني أنا ان أرجعك إلى البيت.»

«لقد كذبت عليه.»

قال لها بأسف: «وكيف إذاً أجعلك تذهبين معي للعشاء؟» بانت لهجته كأنها هي المسؤولة عن كل هذا.

تنهدت بعمق وعملت جاهدة لتسيطر على أعصابها وقالت: «يمكنك التصرف بهذا الشكل مع شخص آخر ولكن...»

«لكن ليس هناك أي شخص آخر أريد أن أتناول العشاء معه.»

«هل تعتقد أنك بهذه المبالغة في المجاملة تستطيع أن تنال ما تريد؟»

تنهد ريف وقال: «بالطبع لا، كم أنت قاسية.» ثم تغيرت لهجته إلى أكثر جدية وتابع: «لقد سمعت الكلام الكثير عني من ايتا، وأعرف انها كلها كاذبة. الا تعتقدين أن عليك أن تسمحي لي ان أخبرك وجهة نظري أنا من كل هذه القصة؟»

«لا، لا أعتقد.»

«ألا تنوين أن تكوني عادلة؟»

www.elromancia.com

«لا أعرف لماذا عليك أن تخبرني وجهة نظرك، لماذا تهتم بما أفكر فيه نحوك.»

حدّق بوجهها مما جعلها تفكر انه سيقول لها انه يهتم، أو يقول لها أي مديح آخر، ولكنه قال لها: «بالطبع، لا أهتم، ولكن كره ايتا لي يجعلها تبالغ كثيراً عني. عندها فكرة ثابتة بأنني عدوها فهي لا تستمع إليّ إذا أنا حاولت التكلم معها وأوضح الأمور، حتى انها لا تتردد في أن تشتمني وتهينني أمام أصدقائها في صقلية مما يسبب الازعاج لي ولبقية عائلتي، وأتأمل إذا وضحت الأمور لك، يمكنك أنت أن تقنعيها بأن تستمع إلي، لذلك أتوق إلى حسك الانكليزي العادل بأن تسمعي قصتي.»

بدا لها مقنعاً مما غيّر موقفها تجاهه، إنه على حق إذ انها سمعت وجهة نظر ايتا فقط، لتواجه الأمر، انها تعرف ايتا من بضعة أسابيع فقط. ربما كانت لا تقصد بل هكذا هي تفكر في عقلها. فهي عندما توفي زوجها كانت جد منزعجة مما منعها من ان تفهم كيف كانت الأمور تجري، ثم قالت لريف: «مهما يكن بينك وبين ايتا فهو ليس من شأني.»

لكنه اعترض: «لكن ألم تجعلي من شأنك أن تظهري لي كم انك تكرهينني؟ انه من الواضح تماماً انك سمحت لإيتا بالتأثير عليك ضدي.»

قالت له: «لماذا لا تتكلم معها من خلال محاميكم.»

قال لها: «ان محاميي ايتا يظهران نحوي من العداء بحيث يرفضان الاستماع إلي. ان من الأفضل أن أتكلم معها وجهاً لوجه ولكن فقط إذا كانت مستعدة أن تسمع.»

أجابته: «وهذا هو دوري أنا.»

«إذا كنت صديقة ايتا، نعم.»

«أتعني أن أقبل أن أكون الواسطة بينكما.»

«وبهذا لا يكون لدى السيدات الصقليات فكرة سيئة عنك؟»

صحّح جملتها قائلاً: «حتى لا يأخذن فكرة غير صحيحة عني، أو حتى أنت.»

«لكن سبق وقلت ان رأيي لا يهمك.»

«هل ستستمعين إليّ على مائدة العشاء؟»

«سأخابر ايتا.»

«إذا كنت ستتأخرين في الرجوع إلى البيت؟»

«لا، بل لأسألها رأيها عني إذا أنا استمعت لك، أنا ضيفتها ولا أحب أن أعمل أشياء وراء ظهرها.»

«وماذا أرجو أكثر من هذا؟ سنجد هاتفاً إذا سرنا من هذا الطريق.»

كان الإزدحام قد خف في المدينة الآن مع ان المحلات ما زالت فاتحة أبوابها. لم يتكلما وهما يسيران، ولكنها لاحظت أنهما كانا يلفتان أنظار المشاة، رجالاً ونساء. لم تكن معتادة لهكذا انتباه، فقد كانت في لندن فتاة جميلة بين الألوف. وكذلك لم تعتد على السير مع رجل أطول قامة من معظم الرجال الصقليين. حتى أنها بادرته بهذا السؤال: «لماذا أنت طويل القامة هكذا؟»

ضحك ريف لبرودة السؤال وقال: «هل تعلمين أي شيء عن تاريخ صقلية؟»

«قليلاً.»

«إنك إذن قرأت كيف ان الجزيرة كانت قد احتلت من قبل النورمانديين في القرن الحادي عشر، لقد انحدر أجدادي

منهم. واسمنا مشتق من كلمة كفاليير وعندي دم اسباني يجري في عروقي أيضاً. ومعظم الصقليين هم مزيج من هويات مختلفة.»

ثم وصلا إلى مدخل فندق حيث حياه الحاجب باسمه وفتح لهما الباب ليدخلا.

قال لها ريف: «يمكنك أن تجدي هاتفاً هنا، سأنتظرك في المطعم، سيرشدك عامل الاستقبال إليها عندما تنتهي من المكالمة.»

ثم سألته بفضول: «ما الذي يجعلك تفكر في انني لا أطلب سيارة أجرة؟»

قال لها: «سائق بك، كما أتمنى أن تثقي بي بدورك.»

أجابت ايتا على المخابرة بسرعة، وعندما سمعت صوت بريوني قالت: «عزيزتي، أين أنت؟ غضبت جداً من جيوفاني لأنه صدّق ريف. هل أرسل لك السيارة لنجدتك؟»

أجابتها بريوني: «يقول ريف انه يريد أن يكلمني عن... حسناً، عن الاختلاف بينكما. انه يريدني أن أكون الوسيط بينكما. يقول انك لا تفهمين موقفه و...»

قاطعتها ايتا قائلة: «حقاً؟»

ضحكت بريوني وقالت: «أعلم بما تشعرين. هل أطلب سيارة أجرة وأرجع للبيت، أو أستمع إليه؟ لا أحب أن أتدخل يا ايتا. أو أسمع أشياء أنت تفضلين ألاّ أسمعها، ولكن ما الخسارة إذا سمعنا وجهة نظره.»

«صحيح، وأعتقد انه من المسلي أن نسمع أكاذيبه. هل سمحت له أن يتغلب عليك، أعلم كم هو مقنع محوّلاً الحقيقة إلى جانبه.»

«طبعاً لا، أنا مستعدة أن أرجع إلى البيت إذا أنت أردت ذلك. ان الأمر يعود إليك.»

«ابقي إذاً. يمكنك أن تتعلمي شيئاً مفيداً، مع اني أشك بهذا. أين أنت؟»

«لا أعرف بالضبط. في فندق ما في تاورمينا.» ثم قرأت اسم الفندق. «انه قصر سان دومينكو.»

ضحكت ايتا وقالت: «إنه من أحسن الفنادق على الجزيرة. لا لن أرسل لك السيارة. سيرجعك ريف إلى البيت. إلى اللقاء يا بريوني. ولا تدعيه يؤثر عليك ضدي.»

تعجبت لماذا أرادتها ايتا أن تبقى. حتى انها لن ترسل لها السيارة لتأخذها إلى البيت، ثم وضعت السماعة جانباً.

قادها عامل الاستقبال إلى حيث كان ينتظرها ريف، فمرت في مكان واسع، في وسطه حديقة مليئة بالأشجار والنباتات، محاطة بممر مصنوع من الحجارة ليسهل المرور عليه. وقفت بريوني مندهشة لهذا المنظر الرائع عدة دقائق قبل أن تذهب إلى باب آخر يقود إلى قاعة كبيرة، في المقهى، حيث كان ريف ينتظرها، جالساً عند مائدة صغيرة. وقف ريف عندما وصلت إليه، وكان بادياً عليه ملل الانتظار. مما جعلها تقول له: «هل اعتقدت اني لست قادمة؟»

لكنه اكتفى بالابتسام والقول: «أنا سعيد انك هنا، أفهم ان ايتا أعطتك الموافقة بالبقاء، إن عندها الفضول لتعرف ماذا سأقول.» ثم أشار إليها لتجلس.

قالت بريوني وهي تجلس: «هذا مكان مذهل.»

أجاب: «نعم، إنه كان قصراً، وهذه الغرفة كانت غرفة الطعام، والحديقة التي أتيت منها كانت رواقاً من القرن السادس عشر. ولكن لسوء الحظ انه كان مركز الألمان في الحرب وان الحلفاء كانوا قد فجروه.»

«إنه مؤسف حقاً.»

«نعم، وما هو رأيك عن جبل ايتنا؟»

«كيف عرفت انني...؟» توقفت ثم قالت: «أظن ان أحداً ما قد رأى السيارة وأخبرك.»

«لا، أنا سألت جيوفاني وقال لي انه أخذك إلى هناك هذا الصباح.»

فكرت ان تعتذر منه ولكنها لم تفعل بل اكتفت بإجابته على سؤاله: «اني وجدته هائلاً، انه جعلني أرى كم ان الانسان صغير مقارنة بقوة الطبيعة العنيفة. وليس هناك أي شيء يقدر أن يعمله الانسان ليوقف ثورة البركان.»

«لكنك لم تشاهدي الشيء المؤثر. كان عليك أن تذهبي إلى هناك عندما يذوب معظم الثلج، أحسن وقت هو عند الفجر، عندها يمكنك أن تذهبي إلى حافة الفوهة وتري الحمم الحمراء من شدة الحرارة. وتشمي رائحة الكبريت. وتري الألوان في جدران الفوهة التي سببتها الغازات المحترقة. ثم تستديرين من الظلمة وتري كل صقلية تنتشر أمامك عند شروق الشمس، هذه تجربة لن تنسيها كل حياتك.»

«نعم، أظن ذلك.» وافقت بريوني وهي تحدق في وجهه متعجبة من شعوره المرهف وحبه للطبيعة.

ثم قال لها: «إذا بقيت هنا لوقت طويل، يمكنني أن آخذك

إلى هناك لتريه. هل تظنين انك ستمكثين في صقلية في الصيف؟»

«لا أعرف، خططي ليست أكيدة.» وأضافت بسؤالها: «هل تعيش في صقلية كل الوقت؟»

«لا، أمضي بعض الوقت في روما، هل زرتها يوماً؟»

«كلا، لم أزرها قط.»

«إنها تستحق الزيارة. يمكنك أن تذهبي إلى هناك لتمضية بضعة أيام قبل رجوعك إلى لندن. يوجد عدة رحلات من هنا يومياً.»

«سأفكر بهذا.»

«اقنعي ايتا بأن تأخذك معها، هي تحب روما.»

«لكم من الوقت، لشهرين. عندها يمكنك ان تستعيد بيتك من ايتا. هذا ما تريده، أليس كذلك؟»

هز برأسه بحزن وقال: «كم أنت صريحة، في إيطاليا نأخذ وقتنا في كل هذه الأمور.»

«حقاً؟ لكن في قضيتنا، ليس هناك أي شيء مشترك بيننا، إذاً لماذا تضييع الوقت؟»

«من يعلم؟ يمكننا أن نجد عدة أشياء مشتركة بيننا.»

ضحكت بريوني وقالت: «أشك في هذا.»

«كنت أفكر ان بعض النساء يبدين جميلات عندما يكن مرتاحات والبعض الآخر عندما يضحكن.»

فكرت هل يمكنه أن يصدق ان هذه الأمور تقدر أن تقنعني.

أجابها كأنه قرأ أفكارها: «لماذا الانكليزيات هن دائماً يشككن في الاطراء؟ هل لأن الرجال الإنكليز قليلو الاطراء؟»

أجابته: «إنهم، على الأقل عندما يفعلون يعنون حقاً ما يقولون.»

قال لها بلهجة جدية: «وما يجعلك تعتقدين اني لست منهم.» احتارت بما تجيبه، ولم تجب بل اكتفت بالقول: «هل نأكل الآن؟»

نهض ريف وخرج من المقهى وكانت اعتقدت أنهما سيتناولان طعام العشاء فيه ونظرت إليه بعجب وهما يتركان الفندق.

«سنتناول العشاء هنا مرة ثانية لأننا لا نرتدي ملابس رسمية لهذه الليلة.»

سارا في الشارع الرئيسي الذي كان الآن مزدحماً بالناس الذين كانوا يتمشون في الأمسيات. وذهبا إلى مطعم على شكل شرفة كبيرة يطل على البحر، والذي منه ترى أبدع المناظر للخليج. قادهم الخادم إلى مائدة قريبة من الشبابيك الكبيرة كأنها كانت قد حُجزت خصيصاً لهما، ونظرت بريوني من الشباك لترى الشاطىء المضاء بألوف الأضواء. دُهشت لهذا المنظر الذي ذكرها بمنظر شبيه له في مكان آخر ذهبت إليه مع جيف. ساورها الغضب لهذه الذكرى مما جعلها تستدير بسرعة وتقول لريف: «هل تُبقي هذه المائدة محجوزة لتأتي بأي شخص تلتقي به، إلى هنا؟»

انزعج لهذا السؤال وقال لها: «طبعاً، إذا كان هذا ما تظنينه بنفسك.»

«أنا آسفة جداً، كنت أفكر بشيء آخر.»

«وربما بشخص آخر.»

نظرت إليه نظرة سريعة واستدارت وقالت: «ربما.»

أتى الخادم بلائحة الطعام وتكلم معها بالايطالية ونصحها أن تذوق بفتاك السمك، فأجابته بالايطالية أيضاً وطلبت هذا النوع كطبق أساسي وطلبت أيضاً طبقاً آخر مختصة به الجزيرة والتي كانت متشوقة لمعرفة كيفية طبخه.

طلب ما يريد ثم سألها: «هل تعلمت الايطالية في ميلان؟ لهجتك صحيحة مثل الانكليزية التي يتعلمونها في جامعة اوكسفورد.»

«صحيحة، أنا تعلمت الايطالية في الجامعة ثم ذهبت إلى ميلان لمدة ستة أشهر لأتدرب على اللغة.»

«لماذا درست الايطالية؟»

«تعلمتها لأشتغل، ولكن لم أستفد منها كشغل.»

«ماذا عملت إذاً؟»

«لا شيء محدد.» ثم أضافت لتغيّر الموضوع وسألته: «لماذا تكره ايتا لهذا الحد؟»

اعتقدت انه لن يجيب على سؤالها هذا. لأنه وجده سؤالاً شخصياً وقحاً. لكنه فاجأها بالجواب: «أنا لا أكره ايتا، بل بالعكس أنا معجب بها واعتبرها امرأة ماهرة جداً.»

«هل الايطاليون معجبون حقاً بالنساء الذكيات؟»

«أنا لم أقل ذكية بل فقط ماهرة. هل ستزورين ميلان وأنت في ايطاليا؟»

«لا أظن اني سأفعل.»

«أليس عندك أصدقاء هناك؟»

«البعض، ولكني لم أرجع إلى هناك لمدة سنتين.»

«حقاً؟ وماذا عملت في غضون ذلك الوقت؟»

www.elromancia.com

ثم فجأة أدركت ان اسئلته لها كانت ليستفهم عن خطبتها السابقة. فأجابته: «كنت في انكلترا.» وحاولت جاهدة أن لا تعلمه إلا القليل عن ماضيها.

ثم وضع الكوب الذي كان بيده على المائدة فجأة وبدأ بالقول: «لقد قتل والديّ في حادث سيارة عندما كنت صغيراً جداً، وقد رباني عمي. واعتبرته كأبي. كانت الفيلا بيتي. نعم ذهبت لأتعلم في المدرسة، ثم إلى الجامعة في روما، وذهبت إلى أميركا لأتعلم التجارة في كلياتها ولكني كنت دائماً أعتبر الفيلا بيتي وأذهب إليها مراراً. لقد توفيت امرأة انطونيو الأولى عندما كانت تلد، قبل ان أولد أنا. ولكنه لم يبدِ أية رغبة في أن يتزوج من أخرى، ثم أتى ذات يوم لزيارتي في روما، وعرفته على ايتا.»

سألته بتعجب: «أنت عرفته؟»

«نعم، كانت من إحدى معارفي، لم يكن عمي بحالة جيدة، لهذا اقنعته ايتا أن يذهب في رحلة بحرية طويلة، لقد وجدت الفكرة جيدة، واكتشفت انها ذهبت معه أيضاً.»

«لماذا كان هذا سيئاً؟»

«عندما رجعا من الرحلة، قرر انطونيو أن يتزوجها. كان رجلاً عنيداً، لم استطع أن أقنعه بالعدول عن الزواج منها.»

«لماذا لم تشأ أنت أن يحصل ذلك؟»

«أنت لن تفهمي.»

«جربني.»

«إنه كبرياء عائلي.»

لم تفهمه للحظة ثم قالت: «أنت تعني أن ايتا لم تكن مناسبة لتتزوج أحداً من العائلة، أليس كذلك؟»

لم ينكر هذا وقال: «البيت الذي كنا نستضيف فيه أصدقاءنا منذ أن أصبحت هي المالكة للفيلا، لم يعد بإمكاني أن استعمله كما فعل أجدادي لمدة أكثر من مئتي سنة، كبيتنا، وجيراننا، لأول مرة في حوالي ثلاثمئة سنة من تاريخ كازادي كفالري لم يعد ملكاً للأسرة، بل في يد أجنبية.»

تكلم بلهجة حادة، وبعاطفة جياشة مما جعلها تصدّق انه فعلاً متأثر جداً بهذا ومعتبراً ان الفيلا تعني له الشيء الكثير، كل الايطاليين، كما تعلم، عندهم اعتبار عظيم للعائلة، والصقليون عندهم شعور أكبر حتى، انه من الغبن بالنسبة لريف أن يكون هو رئيس العائلة الآن دون أن يتمكن من استعمال منزل أجداده. لكنها لا تقدر أن تسامحه على طريقة معاملته مع ايتا. ثم سألته: «ماذا تريدني أن أخبر ايتا؟»

عدّل جلسته ووجهه فقد شيئاً من حدته عندما أتى الخادم بالطعام والنبيذ الأبيض المستخرج من العنب المزروع في جبل إيتنا، وانتظر ريف إلى أن تركهم الخادم. ثم قال: «حاولت جاهداً ان أشرح لها مدى تعلقي بالفيلا. وقدمت لها عرضاً محترماً تعويضاً عن الفيلا. كافياً لتعيش براحة تامة في روما أو أي مكان آخر تحب ان تعيش فيه. ولكنها ترفض حتى الإستماع إليّ.»

«هل تعرف هي انك أنت وراء اقناع عمك بعدم الزواج منها؟»

«نعم هي تعرف.»

ربما لو لم تعلم لكانت ايتا قد قبلت بهذا العرض الآن،

وقالت: «إذاً أنا لست متعجبة لماذا لا تريد الاستماع لك، لو كنت أنا مكانها لفعلت ذلك أيضاً.»

«ولكن إذا فسرت لك وشرحت ما هو شعوري تجاه الفيلا، فهذا يساعد كثيراً.»

«أنا أشك في هذا، فهي أيضاً تحب الفيلا، ومن لا يحبها؟»

«هل أنت تحبينها؟»

«طبعاً. فهي جميلة جداً وحتى الحدائق فهي رائعة، ومن الممكن ان تكون أجمل لو كان مع ايتا المال الكافي لتبقيها في حالة جيدة دائماً، ولكن هي قالت انك انكرت عليها حق استعمال الدخل من ايراد البساتين وما شابه ذلك. المال الذي يفترض به أن يُستعمل لصيانة البيت.»

«لقد ترك لها عمي حق استعمال الفيلا، ولم يأتِ على ذكر أي من دخل الأملاك.»

«هل كان عليه أن يحدد هذا؟ ربما فكر انه من المفترض أن يؤمن المال لصيانة الفيلا؟ أو ان عمك قد ظن أو تأكد من ان ابن اخيه الذي رباه وأحبه كابنه سيكون من النبل بحيث يهتم بأرملة عمه، المرأة التي أحبها وجعلت آخر سنين حياته سعيدة.»

توقف ريف فجأة عن الأكل وقال بعصبية: «هل هذا ما قالته لك ايتا؟»

«كلا، بل هذا ما قلته لي أنت الآن. أنت تريد ان تُخرج ايتا من المنزل وأنت ستجبرها أن تفعل ذلك بمعاملتك لها بجعلها تعيسة فيه، أنت مخطىء بسؤالك لي ان استمع لك، كل ما عملته حتى الآن هو تأكيد كلام ايتا لي.»

«لقد أخبرتك هي بما تريدك ان تسمعيه. هناك الكثير لن تخبرك عنه، مثلاً مركزها الاجتماعي في الحياة. عندما التقت بعمي وبالطريقة التي حاولت ان تبقي العائلة كلها بعيداً عنه بعد زواجه بها خصوصاً آخر سنة عندما كان مريضاً.»

«إذا كنت تعني بعائلته، أنت، فأنا لا أستبعد انك كنت من عجّل بموته باستبدادك.» وسرعان ما أدركت بريوني بكلامها هذا انها تمادت كثيراً معه. فقد اكفهر وجه ريف من شدة الغضب. وقال: «لا أرى أية فائدة أن نتكلم بهذا الموضوع أكثر من ذلك.»

تأبطت بريوني حقيبتها وقالت: «سأذهب إذاً.»

«لا، أجلسي، اكملي عشاءك.»

«هل تأمرني بهذا؟»

«بالعكس، لا أحلم أن آمرك ان تفعلي أي شيء، يا آنسة فيررز.»

«إذا كنت قد آلمتك، فأنا متأسفة جداً.»

«أنا الذي عليه ان يعتذر منك، أنت ضيفتي، أرجوك اجلسي واكملي طعامك إذ من المفروض أن تكوني جائعة.»

جلست بريوني على الكرسي ببطء، محتارة هل تبقى أو تترك. نظرت إليه ولكنها لم تفهم أي شيء من تعبيرات وجهه. ابتدآ بالأكل بصمت، ولكن بصمته لم تدرِ ما تقول بل اكتفت بالقول: «هذا الطبق شهي جداً.»

«أنا سعيد انه أعجبك.»

«سأجربه في الفيلا.» تسرعت في الاجابة حتى انها كادت ان تعض لسانها، خوفاً من ان تفضح المشروع مع ايتا، ثم استدركت وقالت: «اني أحب ان أطبخ.»

«حقاً؟» انه جواب لطيف، انه لم ولن يمكن أن يشك بأي شيء.

«نعم. بما ان ماريا هي من روما هي لا تعرف أياً من الأطباق التي تصنع في هذه الجزيرة.»

«لا، لا أظن هذا.»

نظرت بريوني إلى ريف. وفكرت بأنها لم تكن عادلة معه. يمكن ان ايتا قد أبعدته عن عمه مما أوجد عنده شعوراً بالعداء نحوها. وستسأل ايتا عن وضعها قبل ان تلتقي بأنطونيو. ماذا يعني كل هذا؟

قال بسرعة: «هل نجد موضوعاً حيادياً نتكلم عنه؟»

ابتسمت وقالت: «هل يوجد أي موضوع هكذا؟»

«لا يوجد أي موضوع حيادي بيننا، من الواضح أنك تنظرين إلي كعدوك، تماماً كما تفعل ايتا.»

«لا أقصد ان أكون متحيزة، ولكن من الصعب ان لا أكون هكذا، فأنت الذي ألجأتني لذلك.»

«أنا؟»

كانت تود ان تسأله عن شعوره بالنسبة إلى ايتا، ولكنها كانت متأكدة انها لن تلقى الجواب الشافي، بل قررت ان تسأله: «منذ متى أنت تعرف ايتا؟»

«حوالي ثمانية أعوام.»

«كيف التقيت بها؟»

ولاحظت عليه شيئاً من التردد قبل أن يقول: «بواسطة صديق.»

«في روما؟»

«نعم.»

«ماذا كنت تعمل في روما؟»

«عندي مصالح وأشغال هناك.»

«أشغال عائلية ورثتها عن انطونيو.»

«هي وغيرها.»

«أين تعتبره بيتك، هنا أو روما؟»

«صقلية دائماً.» قالها بكبرياء وافتخار لم يفكر بها قبلاً.

«انها جزيرة جميلة جداً، بالرغم من كونها خطرة.»

«خطرة؟»

«بوجود بركان فعال كل الوقت، من المؤكد ان تكون خطرة.»

«هذا ما يجعل الحياة هنا مثيرة جداً، هذا ما يجعلنا نعيش حياتنا ونتمتع بها بقدر ما نستطيع.»

«إذاً تحب ان تعيش بخطر.»

أجابها: «نعم، وأحب أن أعيشها بكل دقيقة إلى النهاية. عندما أرى شيئاً أحبه أعمل جهدي لأحصل عليه.»

قالت: «هل تنجح دائماً؟»

ابتسم ريف وقال: «لم أحصل على الفيلا بعد.»

ارتاحت لروح النكتة التي يملكها بالرغم من كل شيء، ضحكت وقالت: «إذاً أنت لم تنجح.»

زال الاضطراب بينهما، وتكلما بكل راحة بينما هما ينهيان الطعام. بالرغم من شعور بريوني بأنهما يتحفظان بما يقولان، هي بالنسبة للفندق، طبعاً، لكنها لا تظن ان على ريف ان يتحفظ بكلامه.

ثم بدأ بالتحدث بكل راحة وتسلية حتى نهاية العشاء. ولم يتفوها بكلمة عن إيتا إلا عندما كانا يغادران المطعم

www.elromancia.com

إلى حيث كانت سيارته متوقفة تلمع تحت الأضواء. توقفت بريوني فجأة وقالت: «بإمكاني ان أخابر ايتا بأن ترسل لي السيارة. لا أريد ان أزعجك بتوصيلي إلى الفيلا.»

«لا، انك على طريقي، أنا أعيش في كاتانيا، لا تخافي.»

«لماذا لا أخاف؟ لقد حاولت مرة قبل الآن.»

«كان هذا قبل أن أعرفك.»

فاجأها هذا الجواب مما أسكتها عن الرد. حين أدار ريف المحرك السريع سألته: «كم تبلغ سرعته.»

«بأقصى سرعة التي تسمح به.»

«كم بالضبط.»

«انها تختلف بحسب حجم محرك السيارة. بالنسبة لهذه السيارة انها تبلغ مئة كيلومتر وعشرة في الساعة. هل تحبين السرعة؟»

««أنا أحبها، مع اني لا أملك سيارة الآن، لهذا أنا أحب التزلج كثيراً.»

«من المؤسف انك لم تكوني هنا قبل الآن، ان موسم التزلج على جبل ايتنا جيد في فصل الشتاء، وقد ذاب معظمه الآن ومع هذا يمكنك ان تجربي.»

قاد السيارة بسرعة معتدلة تحسباً لأن الطريق من تاورمينا كانت مليئة بالانحرافات وما ان وصلا إلى الاوتوستراد حتى زاد سرعته وخصوصاً لأن السير قد خفّ في هذا الوقت ما جعلها تستمتع بالسرعة. وتنهدت بسرور ما لبثت ان شعرت بعده بالأسف لأنهما كانا قد وصلا إلى باب الفيلا.

قالت له باخلاص: «استمتعت جداً بالسرعة.»

أجابها ريف: «ليس تماماً، كنت تتمنين لو انك أنت التي كنت تقودين. لقد شعرت بهذا.»

«لا أظن اني أقدر ان أقود هنا وخصوصاً ان السائقين متهورون وخصوصاً في المدينة.»

«معك حق.»

ساعدها لتخرج من السيارة وأصرّ ان يتمشى معها إلى البيت، كانت الأبواب مقفلة لذلك أخذا طريقاً صغيراً بين صفين من الزهور والأعشاب. لقد شعرت بريوني بعدم الرغبة للوصول إلى البيت بسرعة لذلك أبطأت خطواتها. وعندما وصلا إلى الكوخ الصغير، المكان الذي التقت بريف لأول مرة، قالت له بسرعة: «ماذا أقول لايتا؟»

«قولي لها ما تحبين، لا أظن انه سيغيّر أي شيء بالنسبة لها كما لم يغيّر بالنسبة لك.»

«هذا ليس صحيحاً. تأثرت جداً بما قلته، حاولت ان أفهمك لحد ما، ولكنك لم تقل لي كل شيء، أليس كذلك؟» ولكنه لم يجب فأكملت: «إذاً، كيف لي ان أحكم، وليس عندك الحق ان تسألني رأيي في هذه الحال. قلت لي انك أردتني ان أكون واسطة خير بينكما. ولكن الحقيقة انك تريدني ان أكون في جانبك. أنا آسفة جداً إذ لا يمكنني ذلك وفي الواقع لا أحب التورط بينكما فهذا ليس من شأني.»

«لا، ليس من شأنك. معك حق يا بريوني، ما كان يجب علي ان أزجّك في هذا الموضوع. أنا آسف. شكراً لك لأنك قبلت دعوتي للعشاء والاستماع لي أيضاً. إلى اللقاء.»

ثم مشى ولم ينظر خلفه، تابعت طريقها إلى البيت، لم يكن معها المفتاح وكان عليها ان تقرع الباب، فأتت ايتا

لتفتح لها الباب. وعندما وصلا إلى الداخل بادرتها بالسؤال: «كيف جرت الأمور؟»

«هذا غريب، لا أعرف تماماً لماذا طلب مقابلتي.»

«هل سأل عدة أسئلة؟ أكان عنده شكوك بالنسبة للفندق؟»

«لا أبداً، أظن أنه قد سمع الشائعات لوجودي هنا، لأنه لم يسألني أي سؤال عن نفسي. أخبرني الكثير عن نفسه وعن رغبته في الفيلا.»

«وماذا قال؟»

جلست بريوني على كرسي وحاولت ان تسترجع أفكارها وتكون عادلة بحكمها على ريف وقالت: «أظن ان عليك ان تأخذي بعين الاعتبار حبه العائلي وتذكري ان هذا البيت كان بيت أجداده منذ ثلاثمئة سنة، ويرغب في العيش فيه ولا يستطيع ذلك. تماماً لو ان العائلة المالكة الحاكمة اضطرت ان تخلي قصر باكنغهام وان يُحكم القصر بأشخاص غرباء.»

«ولكني كنت امرأة عمه. عندي الحق في امتلاك الفيلا أكثر منه.»

«هذا رأيك أنت فقط، وليس رأيه، ولا أظن ان أي شيء يقدر ان يغيّر رأيه. أعرف انك رفضت عرضه بالتخلي عن الفيلا. أليس هناك أي نوع من التوافق بينكما؟»

«لا، ليس هناك أي توافق. وأظن ان كل واحد منا يفضّل ان يشعل النار في البيت بدلاً من أن يشارك الآخر فيه.»

«أنتما تكرهان بعضكما بعضاً. أليس كذلك؟»

«نعم، أظن انك على حق.»

«لكن ريف قال انه يعرفك منذ سنين وحتى انه هو الذي

عرّفك على عمه. لم يكن ليفعل هذا لو انه كان يكرهك.»

نظرت إليها ايتا بتعجب وقالت: «هو قال لك هذا؟ لا لم يكن يكرهني في ذلك الوقت، لكنه بدأ يكرهني بعد أن قرر انطونيو الزواج مني ورأى هو ان الميراث سيتحول عنه إلى أخرى.»

«هذا صحيح لقد حاول ان يقنع عمه بألاّ يتزوجك.»

ضحكت ايتا وقالت: «حاول ريف جهده لأن تثقي به، أليس كذلك؟»

«أنا آسفة إذا كنت لم ترغبي باخباري. أخبرته اني لا أريد ان أتوسط بينكما.»

«يبدو انك تورطت، أحببت هذا أم لا، ما أخبرك غير ذلك؟»

ترددت بريوني بالاجابة مما جعل ايتا تجيب باختصار: «أنا أعرف يا بريوني.»

قالت بريوني: «قال انك حاولت ان تبعديه عن عمه.»

اعترفت ايتا: «نعم حصل ذلك، لم أكن اريد لأنطونيو ان يتورط معه في شؤون العمل، أو لأسمح لريف ان يقنعه بشيء ضدي، وهكذا أنا منعت ريف ان يأتي إلى البيت مما جعله يكرهني أكثر، هل صعقت لهذا الخبر؟»

«لا، أخبرت ريف انه هو الذي عجّل بموت عمه.»

«أحقاً قلت ذلك؟ أنا اشكرك جداً، طبعاً ريف لم يعجبه هذا.»

«لا، كان غاضباً جداً. وقال انه ليس من الجدوى ان يتابع المناقشة أكثر. وتغيرت لهجته معي فبدا أكثر برودة وجدّية، ولطفاً كذلك.»

«أظن ان هذا كان نهاية الحديث بينكما. أليس كذلك؟»

«نوعاً ما.»

«ماذا بعد؟ الأفضل لك ان تقولي لي، أؤكد لك اني سأقبل بما تقولينه، يا بريوني.»

«حسناً، قال لي ريف ان أسألك عن وضعك عندما التقيت بعمه.»

«حقاً؟ الآن.» نهضت ايتا وذهبت إلى المرآة، وقالت: «لم يقل لك ريف السبب بنفسه إذاً.»

«لا، قال لي ان أسألك.»

«كنت خطيبة شريكه في العمل، وكان صديق حميم له. وعندما علم ريف اني سأصبح زوجة عمه لم يرضَ بذلك أبداً.»

«أنا لا أفهم لماذا. ألم تفسخي خطبتك من الرجل الآخر.»

«طبعاً تركته، إن الرجال الصقليين لا يتزوجون من خطيبة صديق، هذا يسبب حرجاً لمعتقداتهم الاجتماعية مما يعتبرونه لطخة عار تدوم لمئتي سنة على الأقل.»

الفصل الخامس

قالت بريوني بتعجب: «لا يمكنك ان تقصدي ذلك.»

أجابتها ايتا: «لا تظني ان هذه الأمور تهمّ في هذه الأيام أليس كذلك؟ ولكن هنا تهم خصوصاً في عائلة محترمة ومهمة.»

«ولكنك قلت انك التقيت بانطونيو في روما. ومن المؤكد أن أحداً هنا لا يعرف شيئاً عن ماضيك، و... إلا إذا كان ريف قد أخبر الجميع.»

«طبعاً، لما علم انه لم يقدر ان يقنع عمه بالتخلي عني، أعلم جميع سكان الجزيرة عن خطبتي السابقة وحتى انه بالغ بالخبر كثيراً، متأملاً انه بهذا ينجح علماً ان عمه سيكون مُحرجاً جداً ليتزوجني في هذه الأحوال. ولكن انطونيو كان بحاجة ماسة إليّ وهذا ما جعلت محاولات ريف لعمه تلقى الفشل التام.»

«كان يحبك كثيراً.»

«أحبني بعد ذلك، ولكنه كان بحاجة إليّ أكثر، لم يكن يشعر بصحة جيدة، وبما انني كنت ممرضة كنت أعرف كيف أهتم به، حتى اني كنت أجعله يضحك كثيراً مما حوّله إلى رجل متفائل مرة أخرى. وعندما كان يشعر بالمرض كنت أبقي ريف بعيداً عنه ليشعر بالأمان والراحة.»

«اعتقد ان ريف يتمنى الآن لو انه لم يعرّفك على عمه قط.»

«ولكنه قصد ذلك أملاً منه في ان أجذب انطونيو لي.»

«ولكني لا أفهم، كيف يمكنه ذلك لو انه لم يُحب ان يتزوجك انطونيو؟»

قامت وجلست بقرب بريوني وانحنت ناحيتها وهمست خوفاً ان يسمعها أحد. وقالت: «كان خطيبي السابق من التابعية الاوسترالية، وكان يشتغل في روما، انتهت مدة العقد في العمل وكان عليه ان يرجع إلى بلاده، ولم يكن، بإمكاني أن أذهب معه أو أن يبقى هو هنا، وكنا نلتقي بريف دائماً لأنهما كانا يشتغلان معاً في نفس العمل. وعلم ريف اننا سنفترق بالتأكيد. فقبل اسبوع من مغادرته روما ليرجع إلى بلاده، أقام ريف سهرة وداع له، وبما ان عمه كان موجوداً في روما في ذلك الوقت ليتلقى علاجاً طبياً، فقد كان موجوداً في الحفلة، وكان ريف متأكداً من ان عمه سيعلم عن خطبتي.»

«وهكذا كان متأكداً من ان عمه لن يفكر أبداً بالزواج منك، برأيه.»

«بالضبط. ولكن ريف كان قلقاً على صحة عمه وأراد له ان يحصل على مرافق دائم له يهتم به ويرعاه في حالة المرض. علم اني كنت ممرضة، وهكذا قرر أن أهتم أنا به.»

«ولكن لماذا لم يستخدماك كممرضة؟»

«لأنه علم اني لن أقبل بهذه الوظيفة، بما انني قد تعودت الحياة المريحة فلن أعود للعمل كممرضة.»

«لكن لماذا لم يستخدما ممرضة متقدمة في العمر؟»

«لقد حاولا ذلك. أولاً ممرض ولكن انطونيو لم يتحمله.

وبعدئذ ممرضة أخذت تهدده بشتى الوسائل القانونية ضده لما فصلها من العمل.»

ضحكت بريوني وقالت: «لم يكن مريضاً جداً في ذلك الوقت.»

«لا، لم يكن كذلك في بعض الأوقات، لهذا قرر ريف ان يجد له مرافقة مناسبة، تكون ممرضة وصديقة معاً.»

«لهذا عرّفكما إلى بعضكما البعض؟»

«نعم فإن ريف لا يعمل أي شيء من دون سابق تفكير.»

«ولهذا السبب جُنّ جنونه عندما أصر انطونيو على أن يتزوجك.»

«نعم، ولقد قام بعدة محاولات ليقنعه بعدم الزواج مني ولكن كان انطونيو عنيداً جداً برغم ضعف صحته البدنية، وكان لم يزل رأس العائلة. ولهذا قرر ان يرسله إلى انكلترا لمدة سنتين.»

«حسناً فعل.» قالت ذلك بحنان وحاولت ان تضيف شيئاً آخر ولكنها ترددت.

سألتها ايتا: «ما هو؟»

هزت بريوني رأسها وقالت: «لا يهم.»

«أنت تتعجبين لماذا أصرّ انطونيو ان يتزوجني؟»

«نعم...»

«لأنه كان يخاف ان يخسرني، وبأن أفكر ان أرجع إلى خطيبي القديم، وان يرجع هو إلى حياته الموحشة السابقة.»

«أكان يمكن ان يحصل ذلك؟»

«نعم، بعد ان غادر خطيبي الاوسترالي صقلية ورجع إلى

دياره، بستة أشهر وجد ان أموره قد تغيّرت وأرادني أن أذهب إليه ونتزوج. هكذا علم انطونيو ان الطريقة الوحيدة ليبقيني عنده هي أن يتزوجني. بعد ان اهتممت بصحته جيداً حتى استعاد عافيته تماماً، وشعر بنشاط الشباب يتجدد في داخله وان الحياة لا تستحق فقط أن يعيشها المرء، بل أن يتمسك بها جيداً. وأظن انه كان يريد ان يتزوجني مكافأة لي على عملي هذا.»

«لكن ريف كان قد لامك على هذا طبعاً.»

«بالطبع، والآن ليس لديّ انطونيو ليحميني منه.»

«حسناً، لا يمكنك ان تقلقي بأن ريف يمكنه ان يتغلب عليك بواسطتي. فقد اعلمته اني أنا من جانبك ولن يزعج نفسه أبداً بالمحاولة لاستمالتي إلى جانبه.»

«ولكني لست متأكدة أن هذا سينجح.»

«لما لا؟»

«كما انه يريدك ان تتجسسي علي، انه من المفيد أيضاً ان نحصل على شخص يعلم ما يهم هو بعمله.»

«أنت لست جادة؟»

«نعم اني كذلك، فكري بهذا يا بريوني. لقد كسب ريف ثقتك الليلة وسيحاول مرة ثانية، من الواضح انه ارتاح إليك وإلا لما دعاك لتناول العشاء معه، يمكن انه استغل ذلك لتخرجي معه ليقول لك وجهة نظره، وأظن انه استغل فرصة انك حرّة الآن ولست مرتبطة مع أي شخص آخر، ففكر في أن يستميلك إليه وبهذا تستفيدين أنت من هذه الفرصة لكي تتقربي منه أكثر.»

«هل تعلمين بما تتفوهين؟»

«هل تظنين اني اقترح شيئاً لا اخلاقياً، يمكنك الخروج معه لتعرفي أشياء كثيرة عنه وبنفس الوقت تبقين بعيدة عنه، وهذا يكون كمغناطيس له.»

«لا؟»

«لا تقلقي يا عزيزتي.»

نهضت بريوني وقالت: «ليس عليّ ان أقلق، بعد ما حصل الليلة لا أظنه سيراني مرة ثانية. تصبحين على خير، كان يوماً طويلاً.»

مشت إلى الباب ولكنها توقفت عندما سألتها ايتا: «بالمناسبة كيف وجدتِ ايتنا؟»

انفجرت بريوني بالضحك وقالت: «إنه يوشك على الانفجار تماماً كما سيحصل معي لو رأيت ريف مرة ثانية!»

لقد أمطرت طوال اليوم التالي مما جعل بريوني تبقى داخل البيت. ولكن اليوم الثاني كان جيداً ولهذا اغتنمت الفرصة لتتعرف على الجزيرة أكثر بالذهاب إلى سيراكيوز. لهذا ذهبت إليها مع جيوفاني بسيارة أخرى غير التي كانت قد أصلحت، وغير الرولز رويس. وذهبت ماريا معهما. لقد سمحت لهما ايتا بأن يأخذا يوم عطلة قبل وصول الضيوف، وبما انهم كانوا في سيارة غير معروفة لهذا شعرت بريوني بالأمان في تجوالهم في القرية إذ ان أحداً لن يلاحظهم ويخبر ريف عنهم.

كانت سيراكيوز في الناحية الأخرى من تاورمينا. ولكنها كانت أيضاً على الشاطىء وتشرف على البحر

الايوني. كان القسم القديم للبلدة واقعاً في جزيرة صغيرة متصلة بالبلدة الكبرى بجسرين. أوصلها جيوفاني إلى هناك وقال لها بما انه كان يوم عطلة له ولزوجته، فهما سيقضيانه في الطواف في المحلات الحديثة ومشاهدة فيلم سينما، بدلاً من مشاهدة الآثار. لهذا تركا بريوني لتدبّر نفسها لمشاهدة البلدة وذهبا هما إلى المحلات. كان يوماً دافئاً وكان هناك الكثير للمشاهدة فمن خلال تجوالها في شوارع المدينة رأت آثار القصور الجميلة المبنية من الحجارة البيضاء، وفي وسط الساحة كانت هناك قلعة كبيرة بأعمدتها العالية.

وقفت بريوني أمامها تتمتع بجمالها ولتأخذ بعض الصور الفوتوغرافية لترسلها إلى والديها، وكانت تتلفت وراءها من حين إلى آخر لترى إذا كان هناك شخص يراقبها أو يطاردها. ولكن لم ترَ أحداً لذلك اطمأنت من تطفل ريف بملاحقتها.

دخلت بريوني إلى مدخل القلعة لتشاهدها من الداخل، ولترى المعبد القديم الذي بني خصيصاً لمينرفا، ورأت نافورة ارثوزا وتمتعت بالمشهد الرائع الذي يشرف على الميناء، دخلت بريوني إلى مقهى لتتناول كوباً من الشاي المثلج مع اللوز. جلست تشرب كوبها فشعرت بالوحدة، الآن وللمرة الأولى، فلم يعجبها ان تكون بمفردها، بعدما تعودت ان تكون برفقة أحد والديها، أصدقائها، جيف. كان من الغريب الآن ان تشعر بانها ضائعة ووحيدة. ففكرت بانزعاج انها ليست

بحاجة إلى أي شخص وقالت: «أنا مستقلة وبإمكاني ان أدبّر نفسي بنفسي.» ولكنها لا تمانع ان يرافقها أي صديق... حتى ريف.

انتهت بريوني من تناولها كوب الشاي ورجعت إلى المدينة، عبر الجسر ومشت في الطريق الطويل الذي يصل إلى المسرح اليوناني. في الطريق أخذت تفكر بعالم الرياضيات ارخميدس الذي كان يعيش في سيراكيوز في العهود القديمة، والذي كان متحمساً جداً باكتشافه لنظرية كان يجربها وهو داخل الحمام، فخرج وهو يصرخ: «وجدتها، وجدتها.» وهو نفسه الذي كان مندمجاً بعملية حسابية معقدة عندما هوجمت البلدة من قبل الرومان، فنسي ان يهرب فقُتل على يد جندي روماني.

وصلت إلى المسرح فوجدته على شكل نصف دائرة بصفوف من المقاعد، كالعادة وكان يمكن ان يواجه الميناء والبحر. لو لم يبنِ الرومان المسرح، والسركيوزيون لم يبنوا بلدتهم الجديدة، فغطوا بهذا المنظر المطل على الميناء والبحر. فشعرت بالأسف لهذا ولكنها تابعت طريقها لتشاهد لاتوميا ديل باراديزو. الذي كان مكاناً قديماً جميلاً بانحدراته العامودية الحادة وجوانبه العالية جداً المليئة بالنباتات، وعلى قرب منه يوجد بستان من أشجار البرتقال وأشجار الدفلى.

تمشت بريوني على طريق صخري، فلم تشاهد أحداً من الزائرين لأنه كان وقت راحة. وتمتعت برائحة الأزهار المنعشة، فاندهشت عند خروجها من الحديقة، إذ رأت

نفسها أمام مغارة ضخمة عالية مجوفة في الصخر والتي تضيق عند ارتفاعها لتصل ضيقة جداً في القمة. نظرت إلى القمة باعجاب عظيم، ودخلت المغارة حتى انها سمعت صدى وقع خطواتها في الداخل، كان داخل المغارة مظلماً جداً مقارنة بنور الشمس في الخارج، لذلك توقفت لحظة لتتعود عينيها على الظلام، عند ذلك سمعت همس اسمها يتردد صداه داخل المغارة: «بريوني! بريوني! بريوني!»

لعدة لحظات فكرت انها هي التي قالت تلك الكلمات وانها تسمع صدى تلك الكلمات. ولكنه لم يكن صوتها الذي تسمعه، كان الصدى صوت رجل. فتسمّرت في مكانها تنظر في الظلام تسمع وقع خطواته قبل ان تشاهد ريف يقترب منها ليصبح الآن أمامها، فقالت له بلهجة ضاحكة: «كل شخص يأتي إلى صقلية يأتي إلى سيراكيوز...»

فأكملا الجملة سوياً: «وكل شخص يأتي إلى سيراكيوز يأتي إلى هنا.» فسمعا صدى كلماتهما من السقف والأرض يتردد حولهما.

ضحك ريف قائلاً: «لنخرج من هنا.» فتردد صدى كلماته: «من هنا... هنا، هنا.»

لم يتكلما إلا لما وصلا إلى الحديقة، فنظرت خلفها إلى المغارة وقالت: «يا له من مكان غريب.»

«هذا ما قلته عن فندق في تاورمينا.»

«نعم ولكنه كان من عمل الانسان، ولكن هذه المغارة هي طبيعية وليست من صنع أي شخص.»

هز ريف رأسه وقال: «انك مخطئة، يوجد الكثير منها في المدينة، فهذه المقالع كانت تستعمل في القديم لتزوّد الحجارة لبناء المدينة، وعندما كانت سيراكيوز تحارب، كانت تحجز الأسرى هنا.»

«ولكن المغارة، تبدو طبيعية؟»

«لا، لا أحد يعرف لماذا بُنيت هكذا، وهناك اسطورة تقول ان الظالم ديونيسيوس كان يحجز أسراه هنا في المغارة، وبما ان الجواسيس كانوا يقدرون ان يسمعوا أحاديثهم لما كانوا يخططون ضده، لذلك دعوا هذه المغارة بإسم «إذن ديونيسيوس.»

«حتى انها تشبه شكل الأذن.»

«نعم. إنها كذلك.»

«هل شاهدت وتكلمت عن هذا كله عدة مرات قبل الآن.»

«نعم عدة مرات.»

قطفت زهرة من شجرة رائحتها ذكية وسألته: «كيف وجدتني، هذه المرة؟ هل عندك جواسيسك هنا كما في كل مكان من الجزيرة؟»

«هل تعتبريني أعرف كل شيء. لا، اكتشفت هذا بطريقة أسهل.»

«كيف؟»

«اتصلت هاتفياً بالفيلا وسألت عنك. أجابت ايتا على الهاتف وأخبرتني أين أنت.»

«هل هي فعلت ذلك؟»

«هذا ما فكرت به، هل تعتقدين انها تريد ان نبقى سوياً.»

«ولماذا تبغي هذا.»

«لعدة أسباب.»

«أنا لا أرى أي سبب يجعلها تريدك ان تراني.»

تابعا طريقهما في الصعود ليصلا إلى المدخل وقال لها: «لسبب واحد وهو انك بحاجة إلى دليل ليخبرك كل شيء عن هذه الأماكن الأثرية.»

«إذا كنت بحاجة إلى دليل لكنت رافقت رحلة السائحين الذي يرشدهم الدليل السياحي.»

«إذاً لماذا لا ترافقينهم؟»

«ربما سأفعل.»

«لا، لن تفعلي، لأنك تحبين ان تبقي بمفردك لتتشربي تاريخ المكان، انك تريدين ان تتحدث الحجارة معك، وكيف يمكنك ذلك وأنت مع مجموعة من السائحين ومع دليلة تتكلم عن تاريخها بسرعة قصوى لتتمكنوا من مشاهدة ومعرفة تاريخ كل المعالم الأثرية. وأنت لست من ذلك النوع من السائحين، يا بريوني.»

كان على حق، ولكنها لا تحب ان تبقى وحيدة أيضاً وسألته: «هل أنت ضالع في معرفة شخصية الانسان، أو انا من النوع السهل اكتشافه؟»

«ألا تحبين ان أعرف كل شيء عن شخصيتك؟»

«عني أو عن جميع النساء؟»

«لقد فهمت الآن، فمن الواضح ان ايتا كانت قد أخبرتك الشيء الكثير عني، فماذا أخبرتك عني؟»

«ألا يمكنك أن تخمن؟»

«هل تريدينني ان أسرد كل أخطائي لك.»

«حسناً، ما دمت تعترف ان عندك بعض الأخطاء.»

«لقد أوقعتني. طبعاً أنا عندي بعض الهفوات كما عند الجميع.»

«ما غرضك من هذا!»

«انتن الانكليزيات، حالة ميؤوس منها، حسناً، أنا أستسلم يا بريوني. ماذا تريدين ان تري الآن؟ شارع المقابر؟ سراديب الأموات؟»

انفجرت ضاحكة وقالت: «هل أنا سيئة إلى هذا الحد؟»

«بل أسوأ. لا أعرف لماذا أريد ان أكون معك.»

«ولا أنا.»

«سبق وقلت لك لماذا.» رفع يده ليرشدها إلى الطريق وقال: «هيا بنا، سنذهب ونتناول الغداء.»

«كنت أفكر ان أفوّت طعام الغداء.»

«يمكنك ان تفعلي هذا في انكلترا. هنا في صقلية الطعام شهي جداً.»

ضحكت مرة ثانية وقالت: «أليس عندك كلمة جيدة تقولها عن انكلترا؟»

«عندي أشياء عديدة جميلة أقولها ولكنك لا تحبين المديح.» قالها بلهجة ضاحكة.

قالت في نفسها عليّ أن أكون حذرة جداً. فإن لريف من الخبرة في هذه الألاعيب ما لا قدرة لي بمواجهتها. من الجميل ان تتلقى المديح علماً منها أنه ليس أكثر من ذلك. وتحب ان تعرف لماذا اختارها للخروج معه ولكنها كانت تدرك أنها لن تعلم ذلك إلا منه شخصياً، أو عندما يكون قد حقق هدفه، انه يمتدحها بكلام لا تصدقه. أو حتى هو قد صدقها. فكرت بذلك وهو ينظر إلى لائحة الطعام.

قطع حبل تفكيرها ريف بسؤاله اياها: «أنت لا تقرأين لائحة الطعام، بل تنظرين إليّ بعينين جامدتين، بماذا تفكرين؟»

«أفكر بانكلترا.»

«ان جو انكلترا البارد يجعل أي شخص بارد مثله. أتفكرين بانكلترا حقاً؟»

«ماذا تعني؟»

«ربما كنت تفكرين باصدقائك في بلدك.»

«لماذا أفكّر باصدقائي.»

«لأنه من الغريب لفتاة جميلة مثلك ألاّ يكون لها أصدقاء في بلدها.»

«آه، عندي الكثير من الاصدقاء.»

«أعني صديقاً تحبينه.»

«لا، لا يوجد عندي شخص هكذا.»

«ليس الآن، ربما، كان ذلك في الماضي؟»

«طبعاً، كان عندي. وماذا عنك؟ هل عندك صديقة تحبها؟»

«كلا.»

«أنت تعني، الآن إنما من الواضح انه كان لديك في الماضي.»

رفع حاجبيه متسائلاً: «من الواضح؟»

فأجابت: «نعم، هذا ما أظنه.»

ثم أخذت لائحة الطعام وطلبت نوعين شهيين فأخذ اللائحة بيده وقال لها: «قبل ان تطلبي أي شيء تريدين، فسّري لي ماذا تعنين بكلمتك تلك (من الواضح) والتي لم تعجبني.»

أجابته قائلة: «انك يا ريف رجل انيق، مهذب وطموح. لديك الكثير من الاصدقاء المعجبون بك، بينما أنت الآن تترك الجميع وتتناول الغداء معي أنا.»

للحظة، لم يتكلم بل جلس محدقاً بها، ثم قال لها: «اعذريني لأني أغضبتك. أليس هذا ما تحاولين ان تقوليه؟»

توردت وجنتاها خجلاً لأنها شعرت بنفسها كأنها سخيفة. ومن المفترض ان يكون العكس. كم هو ماهر، وتذكرت كلمات ايتا لها أنه لا يعمل أي شيء بدون سبب. شعرت بالغضب والنفور في داخلها. لماذا لا يكون كل شيء واضحاً وجلياً؟ أكره ان أكون تائهة والأكثر من هذا أكره الرجال التائهين. ثم أجابته: «نعم.»

نظر إليها نظرة تعجب وضحك وقال: «ليس بإمكاني استمالتك؟ أخبريني ماذا بإمكاني عمله لأرضيك؟»

«لماذا تبغي إرضائي؟»

«حسناً، إنك لا تريدنني أن أمدحك بأقل كلمة، فماذا يجب ان أقول؟ هل أقول اني أريدك ان تتجسسي على ايتا لصالحي؟ انك ستصدقين ذلك طبعاً، أو ان تسممي ايتا أو حتى جيوفاني وماريا ليتسنى لي ان انتقل إلى الفيلا. فمن المؤكد انك تصدقين هذا الكلام عني. نعم أنت تفضلين ان تفكري بالسوء عني بدلاً من الكلام الجميل.»

«لم أسمع عنك إلا من الناحية السيئة.»

«أليس عند ايتا شيئاً جيداً تقوله عني؟»

«كلا، ولكن عليك أن تقوّم نفسك.»

«لأي سبب؟»

www.elromancia.com

«أخبرتني انك أعلمت جميع الناس هنا عن خطيبها الاوسترالي.»

«هل هذا كل ما قالته لك؟»

«أكان يوجد أمر آخر؟»

«هذا ما ستسألين ايتا عنه.»

«حتى إذا كان يوجد من السيء منك ان تخبر الجميع هنا عنها. إنك حاولت جميع الطرق لتمنع عمك من الزواج منها، أليس كذلك؟»

«نعم، أعترف بهذا.»

فوجئت بصراحته. وقالت بعصبية لأنها شعرت بالغضب المفاجيء: «هل عملت هذا خوفاً من أن تخسر الفيلا. أم لأنك كنت غيوراً؟ أشعرت بعدم الأمان حتى انك لم تكن لتريد ان تشاركك حب عمك؟»

«هل اتهمتني ايتا بهذا أيضاً؟»

«لا، انها لم تفعل، مع ان لها كل الحق بهذا. حسناً، ربما كان عندها الكثير من المحبين في الماضي، فماذا تنتظر من شخص في مثل سنها؟ ولكنها بذلت جهدها في ان تجعل انطونيو سعيداً. كانت تحبه كثيراً وحزنت جداً عند وفاته. والآن هي وحيدة. أرملة في بلد أجنبي. ومن المفروض وأنت أقرب الناس إليها ان تهتم وتعتني بها بدلاً من ان تجعل حياتها تعيسة.»

«هكذا إذاً، فانها كسبت عطفك عليها، سواء كانت تستحقه أم لا.»

أجابته بريوني قائلة: «أنت دائماً تعطي ملاحظات مبهمة كهذه. محاولاً بذلك ان تجعلني غير متأكدة من

ايتا. حسناً، أنا لست كذلك، اني أصدّق كل كلمة تقولها عنك.»

«إذاً لا يغيّر رأيك أي كلام أقوله الآن، فمن المستحسن ان ننسى الموضوع كلياً، ونسعد بغدائنا.»

أجابته بريوني بسرعة وكانت لا تزال غاضبة: «أنا لا أعرف ما أفعله الآن. كل مرة أكون معك فيها نتشاجر مثل القط والكلب.»

قال لها: «ولكنك الآن أنت معي.»

«نعم، وأنا كذلك.»

أتى الخادم بالطعام ولكنها لم تستطيبه. وكلما حاول ريف ان يجذبها بالحديث كانت تجيبه بالمختصر كأن أفكارها كانت في مكان آخر. بالحقيقة كان كل تفكيرها به، كانت تجادله وتتهمه بقوة كل الوقت محاولة بذلك ألاّ تقع بحبه. إنها لا تريد ارتباط ثانياً خوفاً من ألاّ تنجح هذه المرة أيضاً وتتأذى منها مرة ثانية. انها بالكاد تعرفه، وكل ما سمعت عنه لا يشجع. يجب ان تصده ولكنها لا تستطيع. لا يهمني ان أعلم كم هو قاسٍ بمعاملته لإيتا، مع انه هو بنفسه اعترف بذلك ولكنني لا أستطيع أن أكرهه. واليوم كنت سعيدة برؤيته عندما شاهدته في المغارة.

لم تكن لديها شهية للطعام بل جلست محدقة بطبقها، فسألها ريف: «ما بك يا بريوني؟ ألا تحبين هذا الطعام؟»

«لا، لا انه جيد، بل كنت قد أخبرتك اني لم أكن جائعة. أنا آسفة.»

«أتحبين ان تتناولي شيئاً آخر؟»

هزت رأسها وقالت: «لا شكراً.»

«حسناً، إذاً.» ورفع يده نحو الخادم طالباً الحساب.

عندما خرجا من المطعم وأصبحا في الشارع قالت له: «أنا آسفة، لقد أفسدت عليك طعام الغداء.»

«نعم، ولكني أظن اني سأسامحك، ماذا تحبين ان تفعلي الآن؟»

قالت له: «ليس هناك وقت لنفعل أي شيء. علي ان ألاقي جيوفاني وماريا بعد قليل.»

«ربما سنتدبر أمر الذهاب لنرى أماكن أخرى معاً في وقت آخر، ولن أحاول ان أجدك، سنتفق الآن متى تحبين ان تذهبي؟»

«أنا آسفة، ستستضيف ايتا بعض الأصدقاء غداً، وسأذهب معهم لنرى الجزيرة.»

«بعض الأصدقاء الانكليز؟»

«كلا، إنهم أميركيون.»

«كم من الوقت سيبقون هنا؟»

«لا أعلم بالضبط، ربما لأسبوعين.»

«لكنك لن تبقي معهم كل يوم. ألا تعديننني ان تتصلي بي هاتفياً عندما تكونين حرة؟»

«كلا.»

«هل أعتبره رفضاً نهائياً.»

«نعم لأني لا أريد أن أراك مرة ثانية يا ريف.»

«لقد كنت قلت هذا من قبل.»

«حسناً، الآن أنا أعنيها من كل قلبي. فانه من عدم الوفاء لإيتا ان آراك مرة ثانية.»

«حتى انها هي بالذات قالت لي أين أجدك اليوم؟»

«كل ما نعمله عندما نلتقي هو المجادلة. ليس هذا ما جئت إلى هنا من أجله.»

«إذاً لماذا جئت إلى صقلية؟»

«لقضاء عطلة، طبعاً.» وأحست انه لن يصدقها هذه المرة أيضاً.

«ألا يمكننا ان نتفق على عدم الجدل؟»

«إننا لن نحفظ هذا الوعد. علينا ان نواجه هذا، يا ريف. فكل مرة نلتقي بها يحصل نفس الشيء. لهذا أنا لا أصدقك وأنا لا...»

قاطع كلامها قائلاً: «لا تقولي لي اني لا أعجبك يا بريوني، لأني أعلم اني أعجبك، أنت تخافين ان تصرّحي به. وتخافين ان تصدقي قلبك مرة أخرى، لكن سنرى بعضنا مرة أخرى، هذا لا بد منه.» نظر إليها ملياً ثم قال: «إلى اللقاء يا بريوني.» ومشى بعيداً.

لم يكن لدى بريوني الرغبة لتزور أي أماكن سياحية، لذا ذهبت إلى أقرب مطعم يقدم البيتزا تنتظر ليحين الوقت لتلاقي جيوفاني وماريا، فجلست على مقعد خشبي تحدق بدون هدف في المارّين في الخارج وبدأت تفكر هل تصرفت بشكل صحيح مع ريف، وهل انه معجب بها حقاً أو انه يخطط للعبة أكبر من ان تفهمها هي؟ فمن ناحيتها هي جد متعجبة من ارتياحها لوجوده بهذه السرعة وخاصة بعد انفصالها عن جيف بوقت قصير. ولكنها الآن متأكدة تماماً من انها لم تعد تعيسة بعدم وجودها مع جيف بل بالعكس فهي مرتاحة جداً هكذا من دونه.

www.elromancia.com

لكنها ليست حرّة الآن فقد حوّل ريف عدم حبها له إلى العكس تماماً. وهو يعلم بشعورها مع انها تتصرف بعدم المبالاة نحوه.

* * *

وصل ضيوف ايتا الاميركيين في اليوم التالي. كانوا ثلاثة أزواج في العمر المتوسط ومن الذين يعيشون حياة مترفة، ذهب جيوفاني إلى المطار بسيارة الرولز ليلاقيهم، وبما انه كان لديهم عدة حقائب لذلك استأجروا سيارة أجرة أيضاً. كانوا تعبين بعد الرحلة والطيران من أميركا، لذلك تمنوا ان يقضوا مساء هادئاً وفي اليوم التالي سيتمشون في الحديقة.

في اليوم التالي كانوا متشوقين للذهاب لمشاهدة الجزيرة، لذلك استأجروا سيارة كاديلاك كبيرة بالاضافة إلى سائق ودليلة، وكانت هذه السيارة مجهزة بجهاز فيديو وتلفزيون، كان السائق اسمه ستيفانو، وهو مالك هذه السيارة وكان فخوراً جداً بها حتى انه لم يدع أي شخص آخر يقودها إلا هو. وبما انه كان يعرف قليلاً من اللغة الانكليزية للتكلم معهم، فلم يكن يصلح ان يكون دليلاً أيضاً.

جلست بريوني بالقرب من السائق ستيفانو في الأمام، وكانت مرتاحة ان يوافق الأميركيون على اقتراحها بان يذهبوا أولاً لمشاهدة جبل إيتنا. لحسن حظها انهم كانوا من الأشخاص السهل التعامل معهم. وكان يعجبهم كل ما يرون ولا يهتمون بكل التفاصيل الدقيقة عن تاريخ

الجزيرة. لذا قضت أول يوم من عملها كدليلة على خير ما يرام.

كانت تقضي أيامها في عمل متواصل، في شراء الأغراض والطبخ، والذهاب مع الضيوف يوماً بعد آخر، وبما انها لم تشاهد كل الأماكن السياحية لذا كانت تقضي الساعات في وقت راحتها تقرأ عن الأماكن التي كانوا سيزورونها في اليوم التالي. وساعدها أيضاً ان ستيفانو يعرف كل شيء عن الأماكن السياحية، فتعلمت الكثير منه أيضاً، وحتى انها اشترت بعض شرائط الفيديو وشاهدتها في الوقت الذي كان الاميركيون يتناولون طعام غدائهم، حتى انهم أتوا ولم يكن الشريط قد انتهى بعد. فعندما ذهبوا إلى مكان آخر ليشاهدوه اختار ستيفانو طريقاً مليئاً بالمناظر الجميلة جداً. وقد ادهشها ان ترى ان الاميركيين قد أداروا جهاز الفيديو لمشاهدة الفيلم نفسه.

لقد قامت ايتا وبريوني باقصى جهدهما لتشعرا الضيوف بأنهم في مكان مريح جداً وان يرتاحوا بكل وقتهم في الفيلا. وقد لاحظتا انهم كانوا مرتاحين جداً وسعداء أيضاً حتى انهم اتصلوا هاتفياً ببعض اصدقائهم الذين كانوا يقضون مثلهم عطلة في اوروبا، ليأتوا ويسكنوا معهم لمدة يومين، وهكذا مدّدوا الاقامة أسبوعاً آخر.

لقد ترك الثلاثة أزواج الفيلا. وكانت اتصالات ايتا باصدقائها تعد بضيوف أكثر، مما دعا بريوني الى القول: «يبدو اننا سننجح بالتأكيد.»

أجابتها ايتا: «كونك انت الدليلة ورئيسة الطباخين فكيف يمكننا ان نفشل؟»

لكن بريوني كانت تعلم ان سبب نجاحهم هو ايتا بالذات. فهي مضيفة بارعة في استقبال الضيوف بكل حرارة وجعلهم يشعرون بأنهم في بيوتهم. فعندها موهبة الحديث معهم بكل حماس وتسلية ان كانوا على العشاء أو وهم يلعبون ويلهون في الأمسيات في لعب الشطرنج.

لم يحاول ريف ان يتصل ببريوني كل مدة اقامة الضيوف في الفيلا، ولم تكن هي تنتظر ان يتصل بها، ولكنها لم تشك قط في انه على علم بكل ما يجري في الفيلا. انه من الغريب الآن، انها لا تفكر بجيف الذي قضت معه مدة سنتين، ان تفكيرها الآن كان منحصراً في ريف. انها بشوق له ولازعاجه لها، لكنها كانت تُبعد هذا التفكير بانشغالها بعدة أشياء أخرى. انها تعلم ان ريف ليس لها والتفكير به هو ضرب من الجنون، والأسوأ منه هو ان تحبه، لذلك ركزت بريوني كل تفكيرها على عملها كالطبخ، والعمل كدليلة.

لم تسمع باسمه ولم تره لمدة شهر، ثم في صباح أحد الأيام قالت لها ايتا: «لقد رجع ريف. فلقد استلمت رسالة منه.»

أجابتها بريوني: «رجع؟ هل كان خارج صقلية؟»

قالت ايتا: «هكذا يقول، غاب لمدة اسبوعين. لا أدري أين ذهب، ربما إلى روما في رحلة عمل.»

«أنا أتعجب لأنه أزعج نفسه ليخبرك انه عاد إلى صقلية.»

«وأنا أيضاً، وانه فعل كذلك ليخبرني إذا كان بامكانه ان يأتي بقاربه إلى هنا بما ان الجو أصبح دافئاً ويمكنه ان يبحر هنا.»

«هل في هذا المكان هو يحفظ قاربه دائماً.»

«نعم، عنده يخت صغير كان ملك انطونيو من قبل. وقد اشترى قارباً أيضاً، وهو في الشتاء يأخذهما إلى كاتانيا ليحفظهما هناك ولكنه كان في الماضي يبقي اليخت هنا في الصيف. ولكني لست متأكدة مما إذا كنت سأسمح له هذه المرة. لماذا لا يبقيه في مارينا مع قاربه؟»

قالت لها بريوني: «هل هذا يعني انه سيأتي إلى الفيلا؟ وأنت لا تريدين هذا؟»

«لا، لا أريد ذلك بالطبع. سيعلم بهذا عن ضيوفنا، وأيضاً...» ترددت ثم قالت: «ولا أريد ان اعطيه المجال لأن يذهب ويقول للزوار بأني طردته من الفيلا، ربما سأخابره وأكلمه عن ذلك.»

تعودت الامر أتان ان يأخذا قسطاً من الراحة بعد العشاء، في الغرفة التي جهزاها لتكون المكتب، بينما كان الضيوف يرتشفون القهوة. في هذا الوقت كانتا تتناقشان عن كل الأمور والتغيرات التي تطرأ، وعن المشتريات التي كانتا تنويان شراءها وعن كيفية إدارة الفيلا وتحويلها إلى فندق.

لقد انتظرت بريوني ايتا بفارغ الصبر، هذا المساء، ولم تكن تعلم ماذا تريد منها ايتا. ولم تكن بريوني لتريد ان ترى ريف مرة ثانية، ولكن... إذا أتى إلى الفيلا ليأخذ قاربه، فما عليها إذاً إلا ان تراه. وسيطلب

منها ان تخرج معه مرة ثانية. وماذا عليها ان تفعل إذا حاول؟

أتت ايتا إلى غرفة المكتب، بسرعة، وجلست على كرسي وطلبت كوباً من القهوة من دون سكر.

سكبت لها بريوني القهوة وهي تبتسم وتقول: «لقد كانوا مرهقين أليس كذلك؟»

«ذلك الاميركي الذي يعتقد نفسه انه يعلم بكل شيء. تجادلنا كثيراً، ولكن لا يهم. عندما يدفع الناس نقودهم عليهم ان يتجادلوا مع المضيفة. هذا طبيعي، قولي لي كيف كان يومك يا عزيزتي بريوني؟»

«جيد جداً، كل شيء سار على ما يرام. سأحتاج إلى مساعدة فتاة من الضيعة يوم السبت لأنه يوم عطلة لماريا وجيوفاني.»

تباحثتا بالموضوع عدة دقائق ثم قالت ايتا: «اتصلت بريف هاتفياً. واتفقنا على حل. لقد قلت له ان بامكانه ان يبقي قاربه هنا بينما هو يصلّح سقف الكوخ، ولكنه يأتي إلى هنا بقاربه. وبهذه الطريقة لن يقترب من الفيلا.»

«انك أحسنت بتصرفك هذا. متى سيجيء بقاربه؟»

«ليس عندي أية فكرة. إنما أظن ذلك قريباً جداً.»

تشرف غرفة بريوني على الخليج، ووجدت انها تقدر ان ترى مرسى القوارب من غرفتها إذا وقفت على كرسي صغير. كان القمر بدراً يغرق بضوئه المكان ويعطي الامواج لونها الفضي. ذلك المساء وثلاث ليالٍ متتالية كان القمر يضيء مشعاً على البحر ويوم السبت عندما كان القمر مكتملاً نظرت ناحية المرفأ ورأت القارب يمخر

عباب البحر، متجهاً نحو المرفأ. وقفت عدة لحظات مسمرة مكانها، وعقلها متوقف عن التفكير، ثم استدارت وركضت نحو الدرج الخلفي لتصل إلى الحديقة ثم إلى البحر.

كان هناك ينتظرها في المرفأ، مستنداً إلى عامود، سمع وقع خطواتها تجري نحوه، فأحسن من وقفته بينما وقفت هي على بعد خطوات منه. وقفا يواجهان بعضهما على الشاطىء الرملي، ثم عاد ريف نحو القارب.

www.elromancia.com

الفصل السادس

نظرت من شباك غرفتها لترى ريف يلوّح بيده لها ثم سمعت صوت محرك القارب وهو يغادر إلى كاتانيا. وقفت لبعض الوقت ثم بدلت ثيابها استعداداً للنوم. كانت مرهقة ولكن أفكارها وشكوكها منعتها من النوم إلى حين اقتراب الصباح.

«عزيزتي بريوني، هل انت بخير؟»

كان صوت ايتا وقرعها على الباب قد ايقظاها بعد ان كانت قد نامت فقط لساعتين، فتحت ايتا الباب ودخلت الغرفة وهي تقول: «هل أنت في صحة جيدة يا بريوني؟ ان الوقت متأخر.»

«حقاً؟» جلست بريوني ونظرت إلى الساعة قرب سريرها وقالت: «أنا آسفة جداً، لقد تأخرت في النوم.»

«ألم تضعي جرس المنبّه؟»

«لقد نسيت. هل ينتظروني لأحضر لهم طعام الفطور؟ سأنهض حالاً.»

«هل أنت متأكدة من انك تشعرين بصحة جيدة يا بريوني؟ يبدو عليك التعب.»

«لم أنم جيداً، أنا جد آسفة.»

«لا يهم إنه فقط الاميركي الذي جاء بمفرده، لقد نهض باكراً لذا أعددت له فطوره بنفسي. بينما الآخرون ما يزالون في فراشهم، لكن السيدة بروستر طلبت ان تتناول فطورها

في غرفتها عند الساعة التاسعة، إذا كنت تشعرين بوعكة...»

«لا، سأستعد لأنزل حالاً.»

«إذاً، سأتركك لتجهزي نفسك.»

لقد سرّها ان تسرع، فهذا سيشغلها عن التفكير بما حصل معها في الليلة السابقة. بعد ان أنهت تحضير طعام الفطور، ونظفت المائدة، ونظمت غرف الضيوف التي كانت جميعها تشرف على البحر، نظرت من شباك احدى الغرف إلى الشاطىء، كان اليخت ما يزال راسياً في المرفأ هناك، العلم لم يكن يرفرف على ساريته. تركت الشباك بسرعة لتنهي أعمالها، ثم أتت ايتا إليها لتقول لها ان الضيوف يحبون ان يذهبوا الرؤية تاورمينا، وان عليها ان تكون دليلتهم، فذهبت معهم.

لم يتصل بها ريف، لكن بعد مرور يومين وصلها طرد في البريد. أخذته بريوني من ماريا بعفوية... لأنها كانت تستلم العديد من الرزم من والديها... لكنها رأت ان الطابع هو طابع ايطالي، لذا أسرعت إلى غرفتها وفتحته لتجد قرطين ذهبيين وورقة كتبت عليها الملاحظة التالية: «لأشكرك على السهرة.» وكانت موقعة بحرف «ر».

أغلقت بريوني العلبة وقذفتها في الغرفة، وقد تملكها غضب مفاجيء هل هذه فكرته عنها؟ ام انه يحاول رشوتها لتتجسس على إيتا؟

أخذت العلبة والاسوارة التي وجدتها على الشاطىء قرب القارب والتي شكت بشأنها، لربما كانت تخص إحدى معارفه. وذهبت إلى المكتب، حيث جعلت من الجميع طرداً واحداً، بعد ان ألصقت السوار على علبة الأقراط ليراه. ثم

أخذت عنوانه من دفتر العناوين الذي يخص ايتا. ووضعت الطوابع اللازمة وذهبت إلى مكتب البريد في البلدة لترسلها له من دون ان يعلم أحد في الفيلا عن هذه العلبة.

ذلك المساء رنّ جرس الهاتف، فأجابت ايتا: «ريف! ما هذه المفاجأة. نعم صحتي جيدة. شكراً لك، نعم وكذلك بريوني.» استمعت بريوني إلى إيتا تقول نعم مرتين ثم تقفل الخط. قالت ايتا لبريوني: «انه ريف، سيرسل بعض العمال يوم الاثنين ليصلح سقف الكوخ.»

علمت بريوني ان ريف تحينّ الفرصة للاتصال آملا ان ترد هي عليه، فبذلك تشكره على هديته. سوف تصله بعد أيام قليلة وسيعلم على الأكيد ما فكرت بهديته وبه أيضاً.

يوم الجمعة ليلاً، عندما كانت تنظر إلى الخارج رأت علماً يرفرف على سارية الزورق وراسياً في المرفأ. ملأ الغضب قلبها، لا بد أنه استلم العلبة التي ارسلتها له وعلم انها وجدت السوار. فهي لا تريد، لهذا السبب، ان تراه مرة ثانية، ولكنه عاد بالرغم من هذا ظاناً أن بإمكانه مكالمتها مرة أخرى. وأجبرت نفسها على البقاء في غرفتها بعد أن أضاءت النور، ووقفت عند النافذة عدة دقائق لتتأكد من ان ريف قد رآها ويعلم انها رأته ولكنها لا تريد ان تذهب إليه. ثم أقفلت الستائر، وذهبت إلى فراشها لتقرأ كتاباً قد يصرف ذهنها عن التفكير به، ولكنها لم تقدر ان تركز على القراءة، بل فكرت هل يمكن ان يكون قد رجع إلى كاتانيا؟ أم انه لا يزال ينتظرها؟ أطفأت نور المصباح، ونهضت من السرير، وأزاحت قسماً من الستائر لترى المرفأ. لم تستطع ان ترى شيئاً في الخارج لعدم وجود القمر هذه الليلة، وكل ما

استطاعت رؤيته هو الظلام الحالك في الخارج، لذلك لم تعلم إن كان ريف ما يزال هناك أو رحل.

في الصباح التالي انغمست في الأشغال اليومية، ورفضت ان تنظر إلى الشاطىء. ولكن ايتا قالت لها وهما يتناولان القهوة معاً: «أرى ان ريف يشتغل في قاربه ليحضّره للصيف.»

قالت لها بريوني: «إن الجوّ الآن يبدو وكأننا في الصيف، فالحرارة مرتفعة جداً.»

«إذاً عليك ان تخرجي وتتنزهي قليلاً، انك تبدين مرهقة اليوم ووجهك باهت اللون. أرجو ألاّ أكون قد أرهقتك في العمل معي، يا عزيزتي.»

«طبعاً لا، أنا مسرورة بالعمل هنا، وأنت تعلمين هذا.»

«لا، لست متأكدة. إنك لم تشعري بصحة جيدة في الاسبوع الماضي. عليك ان تخرجي أكثر وتلتقي بالناس. لقد دُعيت إلى حفلة غداء للجمعية الخيرية في فندق شيراتون في كاتانيا الاسبوع المقبل. عليك ان ترافقيني. إذاً سنذهب إلى المدينة اليوم لأشتري لك ثوباً يليق بهذه المناسبة.»

«لا عليك ان تشتري لي ذلك. إن بإمكاني ان اشتريه من راتبي.»

«لا، أريد ان أقدمه إليك هدية ومن دواعي سروري ان أساعدك في اختيار الثوب، بما ان ضيوفنا لم يرجعوا بعد، لذلك سنذهب الآن.»

لقد أعجبتها فكرة الذهاب إلى السوق كثيراً، لأنها بهذا تُبعد المسافة بينها وبين ازعاج وجود ريف لها. لذلك

حاولت ألاّ تفكر به بل انشغلت بالتسوّق مع ايتا، فقد سُرت بدخول المحلات التي تبيع الملابس الغالية الثمن، كلها من صنع ايطاليا، والتي كانت من أغلى الأقمشة وأجمل الأزياء.

استمتعت بريوني بمرافقة إيتا إلى حد صرف ذهنها عن التفكير بريف. وكذلك اشترت إيتا ثوباً جديداً لهذه المناسبة. وكان من السهل جداً ان تتظاهر بريوني بالسعادة وهما راجعتان إلى الفيلا. ولكن عندما وصلتا إلى الفيلا، أخبرتهما ماريا ان ريف كان هنا ليطلب ماء مقطراً لمحرك القارب. وقالت لهما: «لا أعلم أين يضع جيوفاني الماء المقطّر، لذلك ذهب ريف بنفسه إلى المرآب ليجلبه.»

وضعت ايتا الأكياس على الطاولة وقالت لها: «إنه لم يكن هناك لما مررنا بالمرآب.» ثم ذهبت ايتا إلى الشرفة ولحقتها بريوني.

شعرتا بالراحة حين رأتا ريف قد رجع إلى قاربه وكان واقفاً مع رجل آخر.

«أوه، لا! هذا جون كورنيل، الاميركي، يتكلم معه. اعتقدت انه ذهب ليمضي النهار خارج الفيلا. كنت أعلم انه ما كان علي ان أقبل أن يأتي بزورقه إلى هنا. اذهبي بسرعة يا بريوني إلى هناك واخبري السيد كورنيل ان لديه مخابرة في الفيلا. أو أي شيء آخر.»

«لا.»

حدقت بها ايتا في تعجب وسألتها: «لماذا؟»

«اذهبي أنت. أنا لا أقدر، لا أشعر اني بخير.» قالت هذا وصعدت السلم إلى غرفتها.

من شباك غرفتها رأت ايتا تذهب عبر الحديقة حيث وقفت على أول الممر الذي يصل إلى الشاطىء ونادت الضيف. استدار السيد كورنيل بسرعة وترك الزورق وذهب إليها، راقبه ريف ولكن لبعد المسافة لم ترَ تعبيرات وجهه. ثم رفع رأسه ونظر إلى الفيلا ولكن بريوني ابتعدت عن النافذة لئلا يراها. يمكن ان ايتا كانت قد فكرت بسبب وجيه منع السيد كورنيل ان يذهب إلى الزورق، مما جعل ريف يسحب الحبال ويبحر باليخت بعيداً.

رجع عند غروب الشمس ولكنه لم يبقَ ليلته هناك. لأنها كانت قد سمعت هدير محرك قاربه يبتعد عن الشاطىء بينما كانت تحضّر طعام العشاء.

«بريوني؟» هزتها ماريا بيدها وقالت لها: «هل تشعرين بالمرض مرة ثانية؟»

ابتسمت وقالت: «لا، أنا في صحة جيدة.» مرضها المفاجىء الذي تظاهرت به وهو وجع معدتها، لكنها قاومت اصرار ايتا بأن تأخذ إجازة بقية النهار وتذهب إلى الفراش مع كيس ماء ساخن.

تأخرت ايتا بالمجيء إلى المكتب بعد طعام العشاء ذلك المساء، ولكنها عندما أتت كان وجهها متورداً. فسألتها بريوني: «هل أخبر السيد كورنيل ريف عن الفندق؟»

«لا أعتقد، حاولت معه ولكنه كان من الصعب ان أعرف إلا إذا وجهت له السؤال المباشر ولكني لم أفعل. يبدو ان السيد كورنيل يملك زورقاً أيضاً في كاليفورنيا، وانهما كانا يتناقشان عن الزوارق.» فتنهدت تنهدة حزينة، وقالت: «ويمكن ان يكون السيد كورنيل قد انزلق لسانه وأخبره،

ومن المؤكد ان ريف قد لاحظ ذلك لسرعة انتباهه كما تعلمين.»

«ولكن السيد كورنيل سيرحل غداً، وهكذا لن يكون هناك مناقشات أكثر عن اليخت.»

«ولكن الحقيقة انه قد أحب هذا المكان، لهذا قرر ان يبقى.»

«حقاً، إلى متى؟»

«لأسبوع على الأقل.»

«إذاً عليك ان تبعديه بقدر الامكان عن المرفأ عندما يرجع ريف.» ولكنها لم تتوقع عودته بسرعة. لأنه الآن قد أدرك أن ما من طريقة تجعلها تراه مرة ثانية.

صباح يوم الاثنين أتى العمال ليصلّحوا سقف الكوخ، وأتى ريف معهم، لم ينبهها أحد إلى وجوده هناك لذلك بينما كانت تهبط السلم وبيدها صينية طعام الفطور جلبتها من غرفة السيدة بروستر، رأته ايتا في القاعة عندما جيوفاني فتح الباب. توقفت بريوني فجأة واكفهر وجهها لرؤيته.

«بريوني.» قال لها ريف وهو يتوجه نحوها، لكنها صرخت وركضت تصعد السلم بينما وضعت الصينية في عجلة على منضدة مما جعل الفناجين تنقلب على صحونها. لكنه كان قد وصل إليها ولكنها فتحت باب غرفة ايتا وركضت إلى الداخل.

كانت ايتا تجلس على الكرسي تصلح زينتها بعد الفطور فاستدارت متعجبة عندما رأت بريوني تدخل غرفتها بسرعة هائلة. وهي تقول: «ريف هنا.» وما لبث أن ظهر عند الباب.

لم تنظر بريوني إليه، لم تقدر، بل وقفت تحدق من النافذة إلى الخارج بينما وقفت ايتا وقالت له بغضب: «لماذا أنت هنا وماذا تريد؟»

«أنا آسف حقاً. اعتقدت ان بريوني ليست على ما يرام، لذا لحقتها لأعرف السبب.» تغيرت لهجته ثم وجّه السؤال إلى بريوني وقال لها: «هل هناك أي شيء تشعرين به يا بريوني؟»

لكنها لم تُجبه. بل قالت ايتا: «بريوني صحتها جيدة. ولكن لماذا أنت هنا في المنزل؟» ثم خرجا سوياً من الغرفة واقفلت الباب وراءها، بينما بقيت بريوني في غرفة ايتا. ولكنها كانت تسمع حديثهما وهما يهبطان السلم. خرجت من الغرفة وركضت إلى البرج القديم وتسلقت السلم الضيق إلى الطابق الثاني وهناك كان يوجد شباك يطل على الطريق والكوخ أيضاً. حيث رأت ايتا وريف وقد وقفا يتكلمان مع رجل، يبدو انه مسؤول عن العمال. بقيا مدة طويلة أدركت معها بريوني ذلك لأن إيتا لم تشأ ان تترك ريف بمفرده هناك، علمت ذلك جيداً لأنه كان من وقت لآخر يلقي نظرة على البيت، ثم أشار لإيتا وركب سيارته وذهب.

ارتاحت بريوني لمغادرته المنزل، ثم قفلت راجعة لتلتقي بإيتا.

قالت لها ايتا: «شكراً لمحاولتك انذاري. ربما فكر انه بملاحقتك يكون قد القى نظرة على البيت قبل ان انزل إلى الطابق الأرضي.»

«هل يشك في ان هذا المنزل هو فندق برأيك؟»

سألتها بريوني وشكرت حظها ان ايتا لم تلحظ أي شيء عن زيارة ريف إلا بمشكلتها هي، أي فكرة الفندق.

«من الصعب ان أعرف ذلك من ريف فهو لا يصرّح بأي شيء.» ثم هزت كتفيها وقالت: «فلننس كل شيء عنه.»

لكن هذا كان مستحيلاً بالنسبة لهما ولو اختلفت الأسباب. شعرت بريوني بحزن داخلي لم يكن يفارقها قط وشوق لأن تكون بقرب ريف. هذا التفكير به قد شلّ عقلها حتى لم تعد تفكر بأي شيء آخر. لم تحس بهذا الشعور من قبل عندما كانت مع جيف مع انها كانت حينها مغرمة به.

في صباح يوم الأربعاء غسّلت بريوني شعرها وجففته. شعرت بحيوية قصوى، ولكنها لم تكن لتبالي بهذا حيث انها كانت ذاهبة فقط إلى حفلة الغداء للجميعة الخيرية التي أصرّت إيتا على أن ترافقها إليها.

ساق بهما جيوفاني سيارة الرولز رويس، وأخذ طريق الشاطىء إلى الفندق الذي يشرف على البحر. كان الفندق مكتظاً بالحاضرين وتعجبت ان ترى رجالاً حاضرين أيضاً بينما اعتقدت انها للنساء فقط أي نساء الجمعيات. أخذت كل واحدة منهما أحد أكواب العصير التي كانت موضوعة على صواني وبدأتا بالطواف في القاعة، والتقتا ببعض النساء اللواتي تعرفت اليهن بريوني في حفلة الشاي التي أقامتها ايتا في منزلها قبل عدة أسابيع. كانت ايتا تستمتع بوقتها وخصوصاً عندما كانوا يخاطبونها بالكونتيسة، وتتكلم مع صاحباتها. لكن بريوني شعرت بالوحدة مع انها كانت تقابل بالانتباه هي أيضاً.

كانت بريوني تتحدث إلى مجموعة من الحاضرين الذين

كانوا يتكلمون الايطالية فقط، بينما لم تعد ترى ايتا، عندها شعرت انها مُراقبة. رفعت نظرها ورأت ريف واقفاً على بعد خطوات منها. ثم في الحال مشى نحوها ويديه في جيبيه في طريقة لا مبالية، بل في عينيه تصميم انها لن تقدر ان تفلت منه هذه المرة. وتوقفت هي عن الكلام مع المجموعة، وأخذت تحدق به.

«آه، المراوغة الآنسة فيررز.» قالها بلهجة هادئة.

انحنت له بطريقة باردة جداً واستدارت لتكمل حديثها. لكن النساء اللواتي كانت تتحدث معهن دعونه للوقوف معهن. ذهبت بريوني بسرعة لتفتش عن ايتا وتبقى معها إلى نهاية الحفلة التي تمنت أن تنتهي بأسرع وقت ممكن. كان عليها أن تعلم أن ريف لن يدعها تفلت منه هذه المرة، لذلك لحقها بسرعة وقال لها: «أريد أن أتكلم معك.»

«ابتعد عني أو أصرخ. إنني أعني هذا.» قالتها بكل عنف والشرر يتطاير من عينيها.

نظر ريف إليها نظرة قاسية وقال لها: «هذا ما لم تقوليه آخر مرة التقينا بها.»

قالت له والغضب يشعل وجهها: «كانت غلطة.»

قال لها بصوت خافت: «كيف يمكن ان تكون غلطة. يا بريوني؟ يا آنستي الجميلة...»

«لا تناديني بهذه الكلمات. وان لم تبتعد عني سأرمي بهذا العصير في وجهك، أنا متأكدة انك لن تحب هذا، لأنه سيجذب كل الانتباه إليك.»

حدّق بها وقال لها: «لا تكوني سخيفة، يا بريوني، فقط لأنك وجدت...»

ثم أبعد رأسه في الوقت المناسب ليتجنب معظم العصير الذي ألقته على وجهه. ولكن معظم العصير وقع على بذلته. نظر إليها بعجب ثم تحولت نظراته إلى تهديد واضح، لكن لم تنتظر بريوني لترى ما سيفعل أو يقول، لأنها وجدت ايتا فذهبت نحوها بسرعة قصوى في الوقت الذي افتتحت بها غرفة الطعام وبدأ الضيوف بالدخول إليها.

«يا ايتا، أريد ان أتكلم معك.» قالت بريوني ذلك بلهجة مستعجلة كما قالها لها ريف قبل لحظات.

لكن ايتا كانت تتكلم مع امرأة أخرى بكل احتفاء، ولكنها مدت يدها إلى بريوني لتأتي وترافقها. لم تعترض إنما مشت مع النساء إلى غرفة كبيرة مجهزة بموائد مستديرة ومزينة بباقات الزهور الجميلة جداً. لم يكن لها أي خيار آخر، بل جلست بقرب ايتا. واستراحت ان تجد ان الذي جلس إلى جانبها في الناحية الأخرى رجل متوسط العمر ذو لحية. قال لها اسمه بصوت خافت جداً ولكن بريوني كانت منشغلة لترى أين يجلس ريف، لذا لم تسمع ماذا قال، وقالت له اسمها بسرعة. لم ترَ ريف في البداية، ولكنه ظهر عند الباب بعد ان دخل الجميع، لربما أخذ وقته ليجفف العصير الذي ألقته على وجهه وثيابه.

أخفضت بريوني رأسها وبدأت بالتحدث مع الشخص الجالس بقربها، ولكنها كانت ترمق ريف بطرف عينها وهو يذهب ليأخذ مكانه على بعد ثلاثة صفوف منها. قُدم الغداء، عدة أصناف من الطعام الشهي الذي لم تذق أي نوع منه. بل بدلاً منه أخذت ترتشف عصير الليمون وتتكلم مع جارها باللغة الايطالية مما جعله يسعد

بحديثها ويضحك، فقالت لها ايتا بابتسامة: «يبدو انك تستمتعين بوقتك هنا، أنا مسرورة لإصراري عليك بالمجيء معي.»

أجابتها بريوني والغصّة في قلبها ولكنها ابتسمت لها ابتسامة مشرقة: «نعم، أقضي وقتاً ممتعاً، شكراً لك، هل لاحظت ان ريف هنا؟»

«حقاً؟ انه لا يأتي عادة إلى حفلات غداء، وخصوصاً في أيام العمل. إنني أعجب لماذا هو هنا؟»

فقالت بريوني: «ربما هناك شخص يود رؤيته، صديقة، مثلاً.» تساءلت عما إذا كان هذا صحيحاً. فمن المؤكد انه لم يأتِ إلى هنا ليراها هي لأنه لم يكن يعلم انها ستأتي.

أجابتها ايتا: «إنني لا أراه مع أية صديقة أعرفها. وأنا واثقة من اني سأعلم بها إذا كان لديه أية صديقة.»

قالت لها بريوني: «لم أكن أعلم انه ورث اللقب كما ورث كل شيء عن انطونيو، أظن انه يجعله لائقاً للانتخاب.»

وافقتها ايتا وقالت: «انه الشخص الأنسب لهذا المركز في كل الجزيرة.»

«هل سيتزوج فتاة من صقلية، برأيك؟»

«من يعلم؟ ربما يلتقي بفتاة في روما.»

«ولكن أليس من المنتظر ان يتزوج فتاة من صقلية مناسبة له؟»

«طبعاً لا، بما انه رجل بامكانه ان يتزوج أية فتاة يختارها، طالما هي من عائلة محترمة وغنية، ايطالية.»

جلست بريوني على كرسيها تفكر في انها بالتأكيد ليست من الفتيات التي سيختار ريف ان يتزوجها، وقالت في

نفسها انها كانت من الفتيات المجنونات لأنها سمحت لنفسها ان تحبه.

بعد الغداء ألقيت عدة محاضرات ونظمت عدة شيكات للتبرع جُمعت للجمعية الخيرية، ثم شربوا القهوة وهم يتحدثون جماعات جماعات. وابتدأ القلق يتملك بريوني من أن يتجه ريف نحوها. فقد اعلمتها نظراته بعد ان ألقت كوب العصير عليه، انها لن تفلت منه هذه المرة وانه خطر جداً، فانه ليس من النوع الذي ينسى هكذا اساءة له. لكنها رأته يقف وينتظر الفتاة التي كانت تجلس بقربه لكي تقف هي الأخرى. فتاة صغيرة السن، أنيقة.

لقد انتقل ريف مع الفتاة إلى مائدة أخرى بعيدة عنها، بينما كان الشخص الجالس بقربها لا يزال يتحدث معها. فخلال الغداء كان يكلمها عن العربات الملونة التي كانت منتشرة بكثرة في الجزيرة قديماً، والتي أصبحت نادرة الآن، بعد أن استبدلت بالسيارة حتى انك لتجد في كل بيت سيارة على الأقل، وذكر لها انه يوجد عربة قديمة في ساحة الفندق، وسألها إذا كانت تحب ان ترافقه لرؤيتها، ولما كان ريف بعيداً عن طريقها، فقد سرها الذهاب معه كانت العربة لونها أحمر ومزدانة بصور مشاهد عن النورماندي روجيه دو هوتفيل ورجاله الذين احتلوا الجزيرة في القرن الحادي عشر. وتساءلت عما إذا كان هو جد ريف الأول. وبدأ رفيقها يكلمها عن المسارح التي تعرض المسرحيات عن الهجوم النورماندي. ثم توقف عن الكلام ليبتسم ويحيي ريف الذي تقدم نحوهما مع الفتاة التي ترافقه.

سلّم الرجلان على بعضهما بالتصافح بالأيدي كأصدقاء قدامى مع ان هناك فارق في العمر. نظرت بريوني إلى الفتاة، كانت صغيرة السن في حوالي سبعة عشر عاماً وغنية جداً وهذا بدا من ارتدائها الجواهر الثمينة. وقال لها ريف: «أظن انك التقيت بابنة عمي باولا لانري.»

«طبعاً، طبعاً.»

استدار ريف إلى بريوني وقدم الفتاتين الواحدة إلى الأخرى، وقال لها: «أحياناً تساعدني باولا في قيادة الزورق.»

تلاقت نظراتهما للحظة ثم أبعدت بريوني نظرها عنه. هل لها ان تظن الآن ان السوار الذهبي الذي وجدته قرب القارب يخص باولا ابنة عمه؟ ثم قاطعتها الفتاة بلهجة انكليزية غير صحيحة وقالت لها: «بريوني، هذا اسم جميل. ارجوك قولي لي ماذا يعني؟»

«انه اسم زهرة، انها زهرة بيضاء برية تنمو فقط على أشجار تكوّن السياج في انكلترا.»

قال لها ريف: «أظن اني سمعت بها، انها نبتة متسلقة وتتمسك بالاغصان القديمة.»

«من الغريب انك لاحظتها، انها زهرة لا أهمية لها.»

«انها لكذلك، ليس بعد أن تشكل سياجاً جميلاً.»

تفاجأت بقوته وتصميمه، فصمتت بريوني للحظة ثم استدارت بسرعة لتبتسم للفتاة الفتية وقالت لها: «هل رأيت هذه العربة؟ انها جميلة جداً.»

بكل تهذيب نظرت باولا إلى العربة معها بينما انشغل الرجلان بالحديث مع بعض. وقالت لها الفتاة: «أرجوك هل

يمكن ان نتكلم باللغة الانكليزية؟ أنا بحاجة للتمرين لأنجح في امتحان المدرسة.»

«امتحاناتك؟ هل ما زالت تدرسين في المدرسة؟»

«نعم. وأتمنى ان اذهب إلى الجامعة.»

إذاً على ريف ان ينتظر وقتاً طويلاً إذا أراد ان يتزوج هذه الفتاة. وسألتها: «هل قال ريف... رفايل انك ابنة عمه؟»

«نعم، امه وامي إبنتا عم.»

«هل ستبقين لوقت طويل في صقلية؟ أحب ان اتكلم معك مرة ثانية.»

تمتمت بريوني انها لا تعرف إلى متى ستبقى في صقلية، وكانت قد شعرت بوجود ريف وراءها يراقبها. وحاولت ان تفكر بطريقة لتهرب منهما وتعود إلى ايتا وبالتالي تترك المكان. وأخيراً جاءها الحلّ من رفيقها على الغداء، ولكن ليس لصالحها. فقد قال لباولا: «هل حيّيت زوجتي يا باولا؟» أجابته بالنفي. ثم أضاف: «إذاً عليك ان تأتي معي لنبحث عنها، انها لتستاء إذا لم ترك الليلة.» ثم ذهبا سوياً إلى غرفة الطعام.

تحركت بريوني لتلحقهما لكن ريف منعها، نظرت إليه بغضب وقالت له: «انك انتهزت هذه الفرصة.»

«لا، ولكني سألته ان يتركنا بمفردنا لبضع دقائق فقط.» وقف يراقبها عدة لحظات ثم ابتسم لها وقال: «كم أنت غاضبة يا بريوني. أؤكد لك انه سوار باولا. يمكنك ان تسأليها، صدقيني لا عليك ان تغاري من أحد.»

قالت بحدة: «أنا لست غيورة.»

«لا؟» رفع حاجبيه غير مصدقاً ما سمع.

«انني ارتكبت غلطة، اعتقدت...»

قال: «لا يا بريوني، هذا ليس بما شعرت به، وأنت تعرفين ذلك.» ثم رفع يدها وهزّها وقال: «أليس هذا السوار الذي تلبسينه هدية؟ لقد قبلت هدايا منه ولكن مني، لم تقبلي بل ارجعته لي من دون أية كلمة. لماذا، يا بريوني، لماذا؟»

شعرت بالارتباك، فقالت له: «لأنه، لأنني شعرت بنفسي رخيصة.»

حدّق بعينيها وقال: «لم يكن رخيصاً ما كان بيننا يا بريوني، وأنت تعلمين هذا من صميم قلبك.»

www.elromancia.com

الفصل السابع

خرجت مسرعة من الغرفة ودخلت واعتذرت من الأشخاص الذين كانت إيتا تتحدث معهم وسحبتها بضع خطوات. فقالت لها إيتا: «ما بك يا بريوني؟»

أجابتها بريوني: «يجب علينا أن نذهب.» فخرجتا من الفندق، حيث جيوفاني ينتظرهما في الخارج، فسألته إيتا: «أين السيارة؟»

أجابها جيوفاني: «انها متوقفة عند آخر الشارع. يا كونتيسة، سأجلبها إلى هنا.»

قالت لها بريوني: «لا، سنمشي إلى هناك معك.» بينما مازالت تمسك بذراعها وتحثها على المشي بسرعة.

لم تعترض إيتا حتى وصلتا إلى السيارة، فجلست في السيارة بكل ارتياح بعد أن تعبت من المشي وخصوصاً في الكعب العالي. وسألت بريوني: «لماذا أنت هكذا مذعورة. لقد خرجت من الفندق كأن شبحاً كان يلاحقك.»

«نعم إنه كذلك. إنه ريف...»

«هل اقترح عليك أي شيء. أنا لا استغرب هذا. ولكن كيف اختار هذا الوقت وهذا المكان.»

«لماذا انت لست مندهشة؟»

«لأنه يريد أن يزعجني. ولأنك أزعجته كما قلت لك قبلاً، إن المرأة العنيدة تزعجه. وبما انك جميلة جداً، أنت في

موقع تحدٍ بالنسبة لريف لا يقاوم وطالما أنت تهربين منه، فهذا لا يعجبه أبداً.»

عضت بريوني شفتها، وأرادت أن تخبر إيتا الحقيقة، ولكن خوفاً من أن تضعها إيتا على أول طائرة إلى انكلترا، ترددت من إخبارها. مع أن فكرة رجوعها إلى بلدها راقت لها في الوهلة الأولى. ولكنها لا تريد أن ترجع بظروف أو أسباب مهينة. ولهذا قررت وقالت لإيتا: «أنا لا أريد أن أراه مرة ثانية.»

قالت لها إيتا وهي مندهشة: «ولكن ماذا قال لك؟»

أجابتها بريوني: «هذا غير مهم. هل رأيت الفتاة التي كانت معه؟ باولا لارني. قال انها ابنة عمه.»

«نعم، هي كذلك. كان أبواها حاضرين أيضاً، أنا لا اعرفهما جيداً، إنهما أقارب لريف من ناحية أمه.»

«لقد عرفني إليها.»

«حقاً؟ إنه نادر ما يفعل هذا.»

«لماذا تقولين هذا؟»

«يا عزيزتي، إنه من الغريب أن يعرفك على قريبته طالبة المدرسة في لحظة، وفي اللحظة الثانية يكلمك بإطراء. انها ليست من العادات المعروفة.»

«أنت تعنين أنه لا يعرف صديقته على فتاة بريئة ومن قريباته. صحيح هذا؟»

«صحيح.»

نظرتا إلى بعضهما البعض حائرتين. ثم قالت بريوني وهي تتنهد: «دعينا منه هل استمتعت بالحفلة؟»

أجابتها إيتا بكل حماس وبدت مسرورة جداً للحديث عن

الحفلة: «جداً. هل رأيت المرأة التي كنت اتكلم معها بينما كنا ذاهبين إلى تناول الطعام؟ هي أميرة، وواحدة من أرقى العائلات في الجزيرة. هي مسؤولة عن كل النشاطات للجمعيات الخيرية بما في ذلك الحفلة التي سيقيمها الهلال الأحمر الشهر القادم. لم اكن ليدعوني أحد على هكذا حفلات إلا بعد أن تزوجت بانطونيو، وخصوصاً عندما كان يرسل تبرعات بكميات هائلة لهذه الجمعيات. لهذا كانوا يدعونني معه. وخصوصاً لأني كنت ممرضته قبل زواجي منه.»

سألتها بريوني: «ألا تتكلم معك عادة؟»

«طبعاً، لكن هذه أول حفلة تقام بعد وفاة انطونيو. وأنا أتساءل عما إذا سيمحون اسمي من لائحة المدعوين الآن، وخصوصاً عندما يستعمل ريف تأثيره ضدي.»

«لكنها كانت تبدو لطيفة معك؟ ستكونين من المدعوين طبعاً؟»

«نعم، وأنت أيضاً تركت أثراً طيباً في نفس السيد فريدريكو.»

«من؟»

«السيد فريدريكو. الرجل الذي كنت تجلسين إلى جانبه على مائدة الغداء. هو وزوجته هما من اعز اصدقاء الأميرة.»

«لم اسأله عن اسمه عندما كنا نتناول الغداء، انه ذكرني بجدي.» فانفجرت إيتا ضاحكة.

لم يكن هناك أي ضيوف في الفيلا بعد ظهر ذلك اليوم. لذلك ذهبت بريوني إلى الحديقة وهي تفكر بطريقة جدية في

الرجوع إلى بلادها. وخصوصاً حين اكتشفت أنها لا تقدر أن تقاوم رغبتها بأن تكون بقرب ريف، وأنها تتمنى أن تبقى بقربه كل حياتها. ولكن هذا مستحيل لأن الشخص الذي تحبه غير مناسب، إنه ليس لها، وما عليها الا أن تهرب، تهرب إلى إنكلترا وتختبىء هناك.

هذه الفكرة بدت مناسبة صعبة بنفس الوقت، فكرت كيف يمكنها أن تذهب فلا تراه مرة ثانية؟ كيف لها أن تعيش في انكلترا وهي تعلم أنه هنا.

فقررت في يأس أن عليها أن ترحل. وعليها أن ترحل بسرعة فبهذا تثق أنها لن تراه مرة ثانية، فان أرادت أن تتجنب الأذى، إذاً عليها أن تجد الشجاعة. نهضت بريوني لتعد نفسها وتذهب لتحزم امتعتها، عندما وجدت إيتا جالسة على إحدى كراسي الخيزران على الشرفة تتناول طعام الغداء في الشمس، وعندها شعرت بالذنب، كيف ستهجرها، هاربة كاللص في الليل. بينما فقط في الليلة الفائتة كانتا تتكلمان بأن تحوّلا البرج إلى جناح للنزلاء؛ الضيوف فيه، فعليها اما أن تبقى أو أن تجد شخصاً آخر يحل مكانها ثم ترحل.

وجدت نفسها مرتبكة ومحتارة فقررت أن العمل هو الدواء لكل المشاكل، لهذا ذهبت إلى الداخل لتغير ثيابها قبل الذهاب إلى المطبخ لتحضر بعض المعجنات لتقدمها كمقبلات ذلك المساء عند العشاء، مع أن السيد جون كورنيل كان الضيف الوحيد الموجود على العشاء لأن ضيفين آخرين كانا قد غادرا الليلة الفائتة، والثلاث النساء كن في رحلة أثرية في تاورمينا وسيبقين هناك إلى حلول الليل.

كانت إيتا تتحدث إليه كأنهما صديقين قديمين، مع أنها لم تعجب به في البدء.

بعد أن قدمت طعام العشاء للضيف، أكلت بريوني طعامها بمفردها لأن جيوفاني كان مع النساء الثلاث في تاورمينا، وكانت ماريا في زيارة إحدى صديقاتها في القرية، المرأة التي كانت تساعدهما في تنظيف الفيلا. حاولت بريوني أن تكتب رسالة لوالديها ولكنها وجدت ذلك مستحيلاً، لأن هناك الكثير من الاخبار لا تقدر أن تخبرهم بها، مع أنهما يتفهمانها، وإذا خابرتهما، ستلاحظ امها في الحال من لهجتها أن هناك أمراً سيئاً، فاما أن تخبرهما بالحقيقة أو تخفيها عنهما، مما يستدعي في كلا الحالتين أن يركبا في أول طائرة إلى الجزيرة ليعلما ما هي المشكلة. كانا يفكران في أن يزورا الفيلا كضيوف ولكن بسبب انشغال أبيها ببعض الأبحاث الكيميائية، بما أنه باحث كيميائي، فلم يتمكنا من زيارتها في الوقت الحالي.

بما أنها لم تستطع القراءة، لهذا جالت في أنحاء الفيلا لترى إن كان كل شيء منظماً. فمن وراء باب غرفة الجلوس سمعت ضحكات إيتا التي ما زالت تتكلم مع السيد كورنيل الذي قرر أن يبقى لأسبوع آخر في الفيلا. لقد وصل جيوفاني مع النساء الثلاث، اللواتي صعدن إلى غرفهن في الحال لأنهن كن تعبات جداً. ثم شعرت بنفسها غير مرتاحة ومستقرة لذا غادرت المنزل إلى الحديقة ثم مشت في الطريق المؤدي إلى الشاطىء. لم تجد أحداً في المرفأ الليلة. لم تر أي علم يرفرف على سارية اليخت.

وقفت مدة طويلة تحدق في البحر ثم قفلت راجعة ودخلت إلى المنزل.

كانت آخر شخص يصعد إلى الطابق الثاني بعد أن تأكدت من أن الباب الرئيسي للمنزل مقفل تماماً، والأضواء كلها مطفأة إلا ضوءاً واحداً كان ينير المدخل من الخارج.

كل محاولاتها للقراءة باءت بالفشل، لذلك بقيت جالسة في غرفة الجلوس تفكر حتى سمعت صوتاً من خلفها يقول: «مساء الخير.» صرخت مذعورة وسألته: «كيف دخلت إلى هنا؟»

«بما أني عشت في هذا المنزل تقريباً كل حياتي، فاني دائماً أجد الطريق إلى الداخل.»

قالت له: «هل جئت لتنتقم مني لأني ألقيت بالعصير في وجهك؟»

ضحك وقال: «لقد مر أسبوعان من دون أن اراك. لماذا أنت غاضبة مني؟» ولما لم تجب، تابع ويقول: «أم أنك لا تزالين تحبين ذلك الانكليزي؟»

لم تحاول أن تنكر وجود الانكليزي في حياتها سابقاً. وقالت: «لا.»

«لكنك أحببته؟»

«ظننت أني كنت أحبه، ولكني لم أعلم وقتذاك.»

«لم تعلمي ماذا؟»

«لم اعلم وقتها الفرق بين الحب والصداقة.»

«وجدت أنك لم تكوني مغرمة به.»

«نوعاً ما.»

«لكنك أتيت إلى صقلية لتنسيه؟»

«ربما.»

«بما أنك الآن قد نسيته، هل تفكرين بي فقط؟»

«ما الذي يجعلك تفكر أني مهتمة بك؟»

«يا عزيزتي بريوني، أنت لست في وضع يساعدك على الإنكار.»

قالت له: «أنت مجنون إذ تأتي إلى هنا، ماذا لو رآك أو سمعك أحد؟»

«غرفة إيتا في الناحية الأخرى من المنزل.»

«نعم، ولكن هناك بعض الأصدقاء تستضيفهم في المنزل.»

«يبدو أن إيتا قد دعت كل معارفها للبقاء هنا، إذا رآني أحد منهم سيفكرني ضيفاً في الفندق، عفواً، نحن ندعوهم اصدقاء، أليس كذلك؟»

«أنت تعرف إذن.»

«طبعاً أعرف. هل تظن إيتا حقاً أن بإمكانها أن تخفي شيئاً كهذا عني وتبقيه سراً؟»

«انها تأمل هذا، ولكن كيف علمت؟»

«سمعت شائعة. ثم تكلمت مع أحد الضيوف فأكد لي هذا.»

«الأميركي؟ عندما كنتما قرب الزورق؟» هز ريف برأسه موافقاً.

«خافت من أن يفسدا لاميركي كل خططها. وقالت انك تعمل المستحيل لتعارضها، وعندك السلطة أن تجبرها لتقفل الفندق. أليس كذلك.»

«نعم.»

«هل ستفعل؟»

«ما هو دورك في كل هذا؟»

لم يعد هناك من جدوى من اخفاء الحقيقة عنه، فأجابته: «أنا أعمل هنا، اني أطبخ هنا وأساعد في تسيير الأمور في الفندق.»

«هل أعلنت إيتا في الجرائد أنها تريد هذه الوظيفة؟»

«كيف عليها أن تعلن طالما أنها تريد أن يبقى الأمر سراً. كلا، لم تعلن، وبما أنه كان لدي شهادة في فن الطبخ، وكنت حرة وقتذاك، لهذا قبلت بهذه الوظيفة فجئت إلى هنا.»

«ماذا تعنين بحرة.»

«عندما فصلت خطبتي مع جيف، اصبحت حرة، إنما من دون عمل. كان اتفاقاً مشتركاً على الإنفصال.»

«هل كنت سعيدة معه؟»

«نعم، جداً، في السنة الأولى.»

«كم من الوقت دامت خطبتكما؟»

«لمدة سنة ونصف.»

«لكنك أتيت إلى هنا لتتغلبي على حزنك.»

ضحكت وقالت: «لا، بالحقيقة اني أتيت إلى هنا فقط لأني ظننت أني سأستمتع بالتحدي. ثم نشرنا شائعة أني هنا لأتغلب على حزني بسبب انفصالي عن جيف، علماً انك ستعلم بهذه الشائعة وستصدقها، بينما نحن نحضر الفيلا لنحوّلها إلى فندق ولأمنعك من الاتصال بي.»

«هل قامت إيتا حقاً بهذا؟ يا له من عمل ماكر. حسناً لقد نجح القسم الأول من الخطة ولكنه لم ينفع للقسم الثاني، انه لم يبعدني عنك. لأني أردتك قبل أن اعلم بقصتك. أنت تعلمين هذا.»

«هذا حسن، إنما لا يكفي.»

«أنا بحاجة إليك وأريدك أن تبقي بقربي وأتوق لهذا كل الوقت.»

حينها اسكتته بريوني بقولها: «الآن، اطلب منك ان ترحل وبسرعة. عمت مساء.»

نهض ريف وهو يقول: «عمت مساء.» ثم خرج من الفيلا.

عند شروق الشمس، نهضت من سريرها وذهبت إلى الشاطيء. وجلست على الرمل تستمتع بمنظر الشمس وهي في أول صعودها في السماء تنشر اشعتها الذهبية على الأرض. فجمدت لهذا المنظر الرائع وفكرت كم هي صغيرة وسخيفة في هذا الكون والوقت. ولكنها قررت في نفسها أنها ستتذكر هذه اللحظة وهذا المنظر الجميل الرائع في ساعات يأسها وانحطاط معنوياتها، فإنها وقتذاك ستعود بالذاكرة إلى هذا الوقت من الصباح وكم هو رائع شروق الشمس وكم هو سهل أن يكون الانسان سعيداً برؤية هذا المنظر الرائع.

لقد قررت النساء الضيوف الثلاث أن يذهبن إلى بالرمو، وكان على بريوني أن تكون لهن مترجمة بدلاً من الدليلة. لأنها لم تزر هذا المكان من قبل. استأجروا سيارة لتأخذهم إلى هناك، كانت سيارة عادية فصممت إحدى السيدات أن تقودها بنفسها مع أن القيادة إلى هناك كانت صعبة نوعاً ما لطول المسافة. وحصل معهم عطل بسيط في الفرامل وخافت بريوني ألاّ يتمكنوا من الوصول إلى هناك. لكنهن استطعن الوصول بسلام. وبما أن السيدات الثلاث كن من عالمات الآثار. فقد ذهبن اولاً إلى صومعة من القرن السابع

عشر، ثم ذهبن إلى المتحف الذي يضم قطعاً أثرية لا تقدر بثمن. تركن المكان بعد ساعتين ليمشين في شوارع مزدحمة بالمارة. بالرمو، لا تشبه كاتانيا في بعض النواحي. فالجو هنا مشبع برائحة التوابل التي كانوا يجلبونها من أكثر من الفي سنة في هذا المرفأ القديم من الشرق ومن افريقيا، في زوارق شراعية مما اعطى الحياة إلى بالرمو والانتعاش الاقتصادي أيضاً.

أرادت بريوني أن تبقى لوقت أكثر تجول في البلدة، ولكن السيدات أردن أن ينتقلن من هناك بعد أن تناولن طعاماً خفيفاً في مقهى على الطريق فجلس. على خوان على الرصيف مظلل بنخلة.

بما انهن كن من السيدات العاملات، فقد خططن برنامجهن مسبقاً كن مسرعات ليشاهدن مجموعة من المعابد القديمة. ولكن كان هناك حديقة مليئة بالأزهار، فتمشت بريوني هناك في الحديقة تفكر بريف وتود لو أنه بدوره يفكر بها.

ثم سمعت إحدى السيدات تقول لها: «أنت تحلمين أحلام اليقظة. يبدو أنه حلم جميل.»

ابتسمت بريوني وقالت لها: «نعم. إنه حلم جميل.» كان الجو حاراً بعد الظهر، عدن إلى السيارة وتركن حرارة المدينة إلى مكان اكثر برودة في الجبال القريبة إلى جبل بيلغرينو، بينما كن يصعدن إلى أعلى كان من السهل أن يشاهدن المرفأ وبعض الجزر الصغيرة المنتشرة في البحر كقطع جواهر، ومن بعيد رأين قمة جبل إيتنا بقمته البيضاء.

قالت إحدى السيدات وهي تشير إلى لوحة مكتوبة بينما

وصلن إلى قمة الجبل: «إنها سانتيوريو دو سانتا روزاليا.» قالتها بلكنة أضحكتهن جميعاً.

كان هناك الكثير عن بالرمو مما يستحق أن تقرأ عنها بريوني ولكنها لم تفعل، لكن الدليل اخذهم إلى مغارة بين الصخور تحولت مع مرور الايام إلى معبد، مما تأثرت بها بريوني من بساطة الجدران المكونة من الصخور الناتئة ومن هدوء المكان. فلمست الجدران وقالت: «انها رطبة.»

فجاءت سيدة ناحيتها وقالت: «من المفروض أن هذه الماء لها مميزات، اتأمل أن تخفف من ألم الروماتيزم عندي.» ثم أخذت بعض الماء ودهنت بها يديها، وفعلت كذلك السيدة الثانية، والثالثة. لكن بريوني وقفت هناك ووضعت يدها تحت الماء ودعته ينساب على يدها تتمنى وتقول في نفسها: يا ليته يحبني.

أخذن يطفن في الجبل لوقت طويل ثم عدن إلى السيارة ليذهبن إلى ادورا، ليشاهدن الصور المنحوتة في المغاور المشهورة، ولكنهن شعرن بالخيبة لأنهن وجدن المغاور مقفلة. فقالت إحدى السيدات: «علينا أن نرجع غداً.»

اقترحت سيدة أخرى: «لماذا لا ننام في بالرمو؟» مما استدعى رعب بريوني. لأنها كانت مشتاقة لترجع وترى إذا كان ريف قد اتصل بها، وقالت: «عليّ أن احضر طعام العشاء.»

رجعن إلى الفيلا وهن مسرورات بما شاهدن ذلك النهار، بعد أن كان الحر الذي كان طوال بعد الظهر قد تحول إلى نسمات اكثر برودة في المساء.

بدأت ماريا بمساعدة بريوني في تحضير طعام العشاء،

وعندما سألتها إذا كان أحد اتصل بها هاتفياً. هزت برأسها نفياً، سألتها: «هل أنت متأكدة؟ لربما الكونتيسة قد أجابت على الهاتف.»

قالت لها ماريا: «كنت موجودة هنا كل النهار، كان هناك مخابرتين للكونتيسة من اصدقائها ولكن لا مخابرة لك. هل تنتظرين أية مكالمة؟»

قالت لها بريوني: «ظننت أنه قد يتصل والدي ليعلمني أنه استلم الرزمة التي ارسلتها له بمناسبة ذكرى زواجه.» ثم بسرعة غيرت الموضوع، تسأل عن الخضار التي كانت تقطعها ماريا لتتأكد أن كل شيء يسير كما يجب ثم قالت: «سأصعد إلى غرفتي وأغير ثيابي.»

صعدت إلى غرفتها لتنظر من شباك غرفتها إلى الزورق. لم يكن هناك إشارة من ريف، مع انها لم تنتظر أن يضع العلم بهكذا سرعة. لكنها شعرت بخيبة الأمل. لأنها كانت غير صبور لتعرف أي شيء عنه، مر المساء ببطء كالعادة. فهذه الليلة سألتها إيتا أن تتناول طعام العشاء معها والضيوف. كان السيد كورنيل هو الرجل الوحيد مع مجموعة من السيدات، ولكنه لم يبال لهذا بل جلس بالقرب من إيتا يتحدث معها، إنه من النوع العبوس الذي يحب أن يجادل كثيراً، هكذا بدا عليه عندما أتى إلى الفيلا، ولكن بما أنه كان في إجازة فقد بدا أكثر ارتياحاً، لقد حجز لمدة اسبوعين، ولكنه لم يجد صعوبة في أن يمدد اقامته مع أنه استلم عدة مكالمات من وإلى نيويورك.

كانت بريوني غير مرتاحة بحديثها مع إيتا، لأنها شعرت بالذنب لأنها لم تخبرها أن ريف يعرف كل شيء عن الفندق.

ولكن يبدو أنه لم يكن لإيتا رغبة في إطالة الحديث معها لهذا صعدت بريوني إلى غرفتها.

لقد أتى. ولكن أبكر من العادة، لأنها سمعت هدير محرك زورقه وهو يصل إلى المرفأ. ذهبت إلى الشباك فرأته، ولكن بدلاً من أن يذهب إلى اليخت فقد أتى إلى الفيلا. ونزلت السلم بسرعة خوفاً من أن يخبر ريف إيتا عن الفندق في هذه اللحظة.

وجدته في القاعة وجهاً لوجه مع إيتا. لم يكن هناك أية اتهامات موجهة إلى بعضهما البعض، بل بالعكس كان يبدو مرتاحاً يقف ويديه في جيبيه يسأل عن سقف الكوخ وإذا كانت إيتا مرتاحة للعمل.

قالت له: «نعم، يبدو أنهم قاموا بعمل جيد، شكراً لك.»

قال: «لاحظت أن هناك بعض العطل في المرفأ، سأصلح كل شيء لك، بما أني استعمله.»

«طبعاً. وشكراً لك أيضاً.»

نظر إليها وهي تهبط السلم، قالت له: «مرحبا يا ريف.»

أجابها: «أهلاً بك يا بريوني.» ثم استدار ليقول وداعاً لإيتا. ثم قال لها: «أفكر في أن آخذ اليخت إذ أن الليلة دافئة.» أحنى رأسه للمرأتين استدار ليذهب، ثم توقف كأنه فكر بشيء فجأة وقال: «ربما بريوني تحب أن تأتي معي.»

«للابحار في اليخت.» بدت كأنها لا مبالية ولكن في قرارة نفسها كانت تود ذلك. وقالت: «حسناً، لا أدري. لم أقم بهذا العمل من قبل.»

قال لها: «سأقوم أنا بكل العمل. وستكونين انت جالسة في اليخت إلا إذا احببت أن تجربي القيادة معي، طبعاً.»

فكرت برهة، ثم هزت كتفيها وقالت: «لم لا؟ لكن سأقوم معك بجولة واحدة حول الخليج.» ثم استدارت إلى إيتا وحاولت أن تخفي الحماس في عينيها وقالت لها: «أتحبين أن تأتي معي.»

أجابتها: «أنا عجوز لأقوم بهكذا نوع من النزهات. لكن شكراً لك للدعوة. أظنك سوف تحتاجين إلى كنزة.»

«سأجلب واحدة.»

صعدت إلى غرفتها لتأتي بالكنزة، وعندما رجعت وجدت أن ريف قد سبقها إلى اليخت. ولما وصلت إلى اليخت قال لها: «نبهتني إيتا أن أتصرف بكل تهذيب معك. وذكرتني انها مسؤولة عنك وعلي أن اتركك لشأنك.»

«هل تنوي أن تعمل بما قالت؟»

«لا أظن ذلك.»

قالت له: «بما أن عمري هو فوق الثامنة عشرة، فأنا عندي الحرية الكاملة في التصرف والقيام بقراراتي بنفسي.»

قال لها: «تماماً كما تصرفت مع صديقك الانكليزي.»

«نعم. هو فقط.» وشعرت بأنه يغار منه. لم يضف أية كلمة زيادة عن الموضوع بل قال لها: «ما رأيك لو نذهب إلى سترومبولي؟»

«البركان؟ عظيم. متى سنذهب إليه؟»

«الآن. نبحر إليه الآن. إنه ليس مجرد بركان بل جزيرة أيضاً.»

«ولكن الظلام يكون قد هبط في الوقت الذي نصل فيه إليه، أليس كذلك؟»

«بما أن البركان هو فعال في كل الوقت، فإن أنسب وقت لنراه فيه هو في الليل.»

«كم يستغرق من الوقت لنصل إلى هناك؟»

«هل يهم هذا؟»

«طبعاً لا يهم، هيا بنا.»

أبحرا شمالاً بسرعة قصوى، مجتازين الطريق بين صقلية وايطاليا ثم اتجها غرباً. وصلا هناك في الظلام، وشاهدا الأضواء من الجزر الأخرى، ثم أشار ريف بأصبعه إلى الأمام، ورأت نوراً أحمر يضيء عن بعد، وقال: «سترومبولي، منارة البحر الأبيض المتوسط.»

كلما اقتربا من البركان كان الضوء يزداد اشتعالاً، وحدقت بريوني بالمنظر المدهش للضوء المسلط على الحمم المذابة التي تنساب كنهر في البحر.

قال لها وهو يوقف محركات اليخت: «يدعونه بسيارا ديل فوشو.»

ارتجفت لرؤيتها كتلة النار وخافت عندما سمعت انفجاراً ثم رأت كتلة كبيرة من النار من الحمم المذابة تنتشر في الجو. وقالت: «هل سينفجر الآن.»

«لا. إنه يفعل ذلك كل الوقت، مع أنه فعّال الليلة. انه لمنظر رائع.»

«هل يعيش الناس في الجزيرة؟»

«نعم، مع أن معظم الأشخاص قد هاجروا إلى الولايات المتحدة. لقد اقفلوا بيوتهم ووعدوا انفسهم أن يرجعوا إليها عندما يصبحون اغنياء.»

«إذا بقيت لهم بيوت.»

«نعم. انظري إلى أين تذهب الحمم الذائبة؟ إلى البحر، أنها تجعل مياه البحر تغلي من الحرارة حتى إلى مسافات بعيدة فإن المياه دافئة.»

في طريق العودة الى الفيلا، كانت بريوني مسرورة جداً في الجلوس صامتة، لا تفكر بشيء، بل سعيدة جداً، وتعلم جيداً ان مكانها هو معه ودائماً سيكون هكذا.

وصلا إلى الفيلا ثم أوقف سرعة المحرك ليدخلا إلى المرفأ بكل هدوء. لقد أوقف اليخت في المرفأ بسرعة، ثم اتى لمساعدتها لتخرج من اليخت، ومشى معها بكل صمت. وقفت ونظرت إليه وتعجبت من صمته كل الوقت وقالت له: «ما بك يا ريف؟»

تردد، ثم قال: «علي أن أعرف. فقد ذهبت إلى انكلترا لأحاول أن أعرف ولم أجد شيئاً.» ثم تابع بصوت مرتفع: «بريوني هل أنت ابنة إيتا؟»

الفصل الثامن

«هل أنا ابنة ايتا؟» قالتها ثم انفجرت بالضحك وقالت: «طبعاً لا، ما الذي جعلك تفكر هكذا؟»

قال: «لم أجد أي سبب آخر لايتا بان تعطيك بيتاً.»

«إنها لم تعطني بيتاً، بل قدمت لي وظيفة.» بدت الحيرة في لهجتها ولكنها تحولت إلى قساوة وقالت بعد ان بعدت عنه: «أيغيّر شيئاً لو كنت ابنتها؟»

قال لها: «فقط أردت ان أعرف، هذا كل شيء.»

«لكنك كنت مهتماً لدرجة انك ذهبت إلى انكلترا التفتش عن الحقيقة.»

وافق على كلامها هذا وشعر بالأسف لأنه صرّح به، وقال: «اعتقدت انه إذا كان لديها وريث، فمن الصعب جداً إذاً ان استرجع الفيلا، هذا كل ما في الأمر.»

سبقته أيضاً بالقول: «وأظن أيضاً انه خطر ببالك انه إذا برهنت ان لدى ايتا ابنة، فستنشر الخبر في كل صقلية، فستشعر ايتا إذاً بالارتباك وتغادر الفيلا، وبهذا تسترجع الفيلا الغالية حالاً، أليس كذلك؟»

ثم رفعت صوتها في غضب وقالت: «ولهذا السبب لم تكفّ عن ملاحقتي كل الوقت منذ وصولي إلى هنا لأنك كنت تحاول ان تعرف هويتي.»

«لم يكن السبب الوحيد.» قال ذلك بسرعة ولم يحاول الانكار وأضاف: «كنت معجباً بك، وأردت ان أعرفك أكثر، صدقيني يا بريوني، أرجوك.»

حاول ان يقنعها، لكنها استدارت وركضت مبتعدة على الرمل. ثم قالت له في مرارة: «أصدقك؟ ولماذا؟ لطالما فكرت ان هناك شيء تبيته من وراء عملك هذا، لقد أخبرتني ايتا انك لم تعمل أي عمل من دون سبب. الآن أعرف ما هو.»

«أعترف اني فكرت انها أحضرتك إلى هنا لأنه بعد وفاة انطونيو تشعر انها في أمان. وفي البداية...»

قاطعته وقالت: «حسناً، أكمل، قلها. لم أشعر بالاهانة كما أشعر الآن.»

«حسناً.» وثار غضبه الآن مما استدعاه ان يركض ويصل إليها وقال: «اعتقدت انك كنت ابنتها، بما انك تشبهينها. كما قلت أنت بأنكما قريبتان، وفي البدء اعتقدت انك تشبهينها في أمور أخرى.»

«ماذا تعني من كلامك هذا؟» وعلم انها اهانة أخرى لها.

«تعجبت من سبب احضارك إلى هنا. وإذا كان في نيتها ان تستعملك لأقع أنا في الفخ.»

«اوقعك في الفخ.» فثارت ثائرتها وأكملت: «أريد ان اعلمك اني من عائلة محترمة جداً، والتقيت بإيتا في حفلة زفاف ابنة عمي، فان ايتا كانت في نفس المدرسة مع أمها كما انها صديقتها، فضلاً ان ايتا قد عرضت علي هذه الوظيفة وقبلتها علماً مني انها ستكون تحدّياً لي وتكون مسلية. لم أعلم وقتذاك اني سألتقي بسفّاح متعجرف سيفكر في ان ازعاجي فقط ليعرف شخصيتي. حسناً، بما انك تعلم الآن، افعل ما يحلو لك.»

ثم تركته ومشت وهي غاضبة جداً.

صرخ ريف بأعلى صوته وقال: «ولم أعلم اني سأقع في غرامك.»

كلامه هذا جعلها تستدير وتواجه ريف الذي أصبح وراءها وقالت: «ليتني أرى هذا!»

«لنرجع إلى الزورق، سنضيء الأضواء، ونتكلم بهذا الموضوع.»

«لا! لا أصدقك، ولن أصدق أية كلمة تقولها، ولا حتى أريد ان أراك مرة ثانية.»

«ولا حتى إذا اقسمت لك بانها الحقيقة؟»

«أنت؟ لن تفعل هذا؟ لن تعترف بحبك لأية امرأة، أنا...»

«لك، أنت فقط اعترف بحبي ألا تفهمين يا عزيزتي؟ أنت آخر فتاة في العالم أريد ان أغرم بها. اعتقدت انك خطيرة بالنسبة لي. لذلك قررت ان اختبرك، ولكنك صفعتني على وجهي. ومنذ ذلك الوقت لم أقدر ان ابتعد عنك، مهما حاولت لأني لم أكن متأكداً. ذهبت إلى انكلترا لأبحث وأعرف من أنت وذلك بالرجوع إلى ماضي ايتا، ولكن لم أجد أي أثر ان لها ابنة. وفكرت ربما أبقت ايتا هذا الأمر سراً. لم أعرف، هل تفهمينني؟»

«نعم، أظن اني أفهم، كنت قد أعددت نفسك في البدء للتفكير بالسوء عني، ولكنك أغرمت بي بالرغم من ارادتك. وهذا ما تشعر به الآن، ما هذا المديح! حسناً، سأسهّل الأمر عليك، فقط ابتعد عني وعن حياتي لأني لا أريد ان أراك مرة ثانية.»

«هذا ليس صحيحاً. أنت تعرفين انه ليس صحيحاً.»

«انه ليس صحيحاً، ولكن في هذه اللحظة لا أعرف

شعوري نحوك. فقط اتركني وشأني، يا ريف أرجوك. عليّ ان أفكر بالأمر.» وركضت إلى المنزل، لحق بها ولكنه لم يقدر ان يوقفها. عند الباب توقفت لحظة ونظرت ناحيته فرأته يحييها، ولكنها دخلت واقفلت الباب.

كان الظلام يسود في الداخل لذلك انتظرت بضع لحظات لتتعود عيناها على الظلام ثم سارت في الممر بقرب المطبخ ثم إلى القاعة. لقد رأت طريقها إلى الدرج بواسطة الضوء الذي يتركونه كل الليل مضاء في الطابق العلوي. فرأت ايتا واقفة عند أعلى السلم، لابسة رداء أزرق داكناً فوق ثياب نومها. هبطت السلم ببطء وأشارت إلى بريوني ان توافيها إلى المكتب. فدخلتا المكتب واقفلتا الباب وراءهما.

قالت لها ايتا: «لقد قلقت بشأنك، كنت خائفة ان كان حصل معكما أية حادثة وغرقتما سوياً.»

«أنا آسفة، فلقد ذهبنا إلى سترومبولي.»

«حسناً. علي ان أسألك هذا السؤال يا بريوني، هل أنت وريف حبيبان؟»

ضحكت بريوني بصوت عالٍ وقالت لها: «بالحقيقة، لا أعلم.»

«لا تعلمين! يا عزيزتي بريوني، من السهل جداً ان تتأكدي من هذا الشيء.»

«كلا، حسناً منذ ساعتين كان ممكناً أن أجيبك اني مغرمة به، ثم عندما رجعنا إلى هنا، سألني ريف إذا كنت أنا ابنتك.»

«ماذا قال؟»

«كان يظن انك احضرتني إلى هنا لأوقعه في الفخ، وبهذا يلين ويدعك ان تعيشين هنا بسلام.» ثم رفعت بريوني

رأسها ونظرت في عيني ايتا وقالت: «ألهذا السبب قدمت لي هذه الوظيفة يا ايتا؟ هل كان هذا في فكرك كل الوقت؟»

«طبعاً لا!»

«لا؟ وبعد هذا كله، ألم تقولي لي انها ليست فكرة سيئة ان أخرج مع ريف لأكسب ثقته بي. هذا ما قلته بالحرف الواحد. حسناً، انك ساعدت على ذلك بقدر ما يمكن، وذلك بارسالي في سيارة الرولز رويس ثم تخبرين ريف أين يجدني، وأنا متأكدة انك علمت انه سيذهب إلى حفلة الغداء التي أقامتها الجمعية الخيرية.»

نظرت ايتا إلى وجهها الغاضب ثم استدارت وهزت كتفيها وقالت: «أنا اعترف اني لم أعارض فكرة غرامكما، ولكني أقسم انها لم تخطر هذه الفكرة قط في بالي عندما سألتك ان تشتغلي معي. بدأت هذه الفكرة لما أبدى ريف اهتمامه بك، فقررت ان أشجعه وأسهّل الأمور عليه بعض الشيء. وما هو الخطأ في هذا؟ رجوت ان بعض الحب سيجعله أكثر إنسانية.»

«تعنين انه سيصبح متساهلاً بالنسبة إلى الفيلا، أليس كذلك؟»

ابتسمت ايتا وقالت: «نعم، طبعاً.»

«أنت بارعة في استخدام الناس، أليس كذلك؟ أظن انك أخذت الخبرة من اصدقائك السابقين.»

نظرت ايتا إليها نظرة ألم وقالت: «ان ريف يشيع كل هذه الشائعات عني، أليس كذلك؟ انه عمل غير لطيف منك أيضاً وخصوصاً بعد ان أحضرتك إلى هنا و...»

«وعملت جاهدة لإعداد المكان لكي يصبح الفندق، وتسير

الأمور فيه كأحسن ما يمكن، إذاً لا عليك ان تهددني، لا أدين لك بأي شيء يا ايتا.»

بدت على المرأة المتقدمة في السن عدم الرضا، ولكنها قالت: «ماذا ستفعلين الآن؟»

«الآن، سأذهب إلى النوم. وغداً ستديرين أمور الفندق بنفسك وتقومين بالطبخ أيضاً، لأني سأعتبر يوم غد عطلة، عليّ ان أفكر بالأمور وأنا مرتاحة من أي عمل.»

تركت ايتا في المكتب، ولما وصلت إلى غرفتها كان النهار قد ابتدأ، لهذا لم تقدر ان تنام حتى بعد ان أغلقت الستائر، وبعد محاولة فاشلة لمدة ساعتين، نهضت من الفراش وذهبت إلى القرية. أخذت الباص إلى كاتانيا فجلست قرب الشباك تشاهد مناظر الحقول الجميلة المليئة بأزهار اللوز، ومن هناك أخذت باص ثاني إلى شاطىء ميزارو تحت مدينة تاورمينا، ذهبت إلى مكان غير مكتظ بالسابحين، ذلك أنها كانت تريد الجلوس على الشاطىء، وتفكر بكل الأمور بكل تفاصيلها من دون ان يزعجها أي شخص.

وكانت الساعة العاشرة عندما رجعت إلى الفيلا.

مع ان وقت تناول العشاء في الفيلا قد مرّ منذ وقت لكنها وجدت الضيوف لا يزالون جالسين في غرفة الطعام، السيد كورنيل جالساً على مقعد بينما النساء الثلاث كنّ جالسات إلى الطاولة، ربما هن يناقشن ما سيقمن به في اليوم التالي، وريف واقف قرب المدفأة وأصابعه تنقر بعصبية على رف فوق المدفأة.

نظرت إليهم من غرفة الجلوس، ثم استدارت حول المنزل

لتدخل إليه من المدخل الثاني حيث لا يراها أحد، حيّت ماريا وجيوفاني وصعدت إلى غرفتها، أضاءت المصباح ووقفت هناك متعجبة. كانت غرفتها مليئة بالأزهار، في كل مكان في الزهريات وفوق الرفوف وعلى الشباك وحتى بعض باقات الزهور كانت على الأرض.

أول فكرة خطرت ببالها ان ريف قد اشترى كل الزهور من محل لبيع الأزهار، كما بدا لها في الغرفة. شعرت بالحزن لهذا التبذير باقة واحدة تفي بالغرض، وتفهمها بانه يحبها، أو حتى زهرة واحدة، مثل الزهرة الوحيدة الجميلة بلونها الوردي التي لا تزال في علبتها والتي كانت على سريرها. قرأت على البطاقة الموجودة داخل العلبة حرف «ر». أخذت الزهرة وقرّبتها إلى انفها ثم نظرت إلى بقية الأزهار وفكرت في انه ليس من عادة ريف ان يسرف في الأشياء.

اغتسلت بريوني، ثم ترددت لحظة قبل ان تأخذ سلتين من الزهور إلى الطابق السفلي. كان باب غرفة الجلوس مفتوحاً، ولما لمحتها ايتا تهبط السلم خرجت إلى القاعة وأغلقت الباب وراءها وقالت لها: «أخبرتني ماريا انك رجعت، ريف موجود هنا.»

«نعم، رأيته من خلال الشباك.» ورفعت سلة وقالت: «انه أسرف...»

قاطعتها ايتا وقالت بسرعة: «لقد تلقيت عدة مكالمات، يبدو...»

توقفت عن الكلام عندما فُتح الباب وراءها وأتى ريف لينضم إليهما. وقال: «بريوني؟»

«مرحباً يا ريف.» ابتسمت له وضحكت بينما هي تدل برأسها على السلة التي كانت في يدها وقالت له: «شكراً لك على الأزهار، لقد تأثرت بها جميعاً.»

«كلهم؟ لكني أرسلت فقط... يبدو ان لديك معجباً آخر.» قالها بلهجة جافة.

«أليست كلها منك؟ لكني لا أفهم.»

«لم تسنح لي الفرصة بأن أخبرك.» قالت لها ايتا في الحال وتابعت: «هل لي ان أتكلم معك على انفراد للحظة فقط؟»

أصرّ ريف بصوت منخفض ولكنه بدا كتهديد: «لا، لماذا لا تقوليه هنا؟»

«أنا لا أحب...»

قالت بريوني: «قلت اني قد استلمت عدة مخابرات، من من؟ أهلي... بالتأكيد لم يرسلوا لي كل هذه الأزهار؟»

ترددت ايتا ثم قالت: «لا، كانت المكالمات من شخص يدعى جيف، وقال انك تعرفين من يكون.»

اكفهرّ وجه بريوني وقالت: «جيف؟»

أجابتها ايتا: «نعم، وكان هو الذي أرسل كل هذه الزهور ما عدا وردة واحدة من ريف، لقد قال جيف ان أخبرك انه في روما وسيطير إلى هنا غداً. وقال أيضاً...» نظرت ايتا إلى ريف وتابعت: «انه لا يزال يحبك ويريد ان يتزوجك.»

فتحت بريوني عينيها بتعجب تام، ثم استدارت بسرعة إلى ريف الذي ضحك بخشونة وقال لإيتا: «هل حقاً تظنين يا إيتا أنني بمثل سذاجة عمي؟» ثم نظر إلى بريوني ووجّه الكلام اليها: «أو هل كانت هذه فكرتك؟ هل كنت تخافين ألاّ

أتزوجك، ففكرت بكل هذه الخطة لتجعليني أغار و أفكر في اني سأخسرك؟» ضحك مرة ثانية وقال لها: «دعيني أخبرك اني كنت مجنوناً بك حتى اني كنت مستعداً ان أتخلى عن كل مبادئي، وعن حريتي، وعن كل انتماءاتي إلى عائلتي وعن كل شيء. وقد أتيت إلى هنا الليلة لأسألك أن تتزوجيني. أرأيت؟ لم تكوني بحاجة للقيام بهذه الخدعة.»

قالت: «أنا لم أقم بأية خدعة.»

أجابها: «هذه الحيلة لا تمر عليّ.»

ايتا وبريوني تكلمتا سوياً، قائلتين: «ليس هناك خدعة.»

ولكن ريف قال بوحشية: «لقد استعملت ايتا هذه الحيلة مع عمي لكي يتزوجها، وانا استعلمت بدوري عن الرجل الاوسترالي الذي ادعت بأنه خطيبها. فانه لم يرسل لها أية رسالة، كان يعيش سعيداً مع زوجته. ولكنني وجدت الحقيقة متأخراً لأن عمي كان قد تزوجها. ولهذا السبب أريدها خارج هذا المنزل، وخارج العائلة التي احتالت للدخول إليها.» ثم ذهب إلى بريوني وأمسك بذراعيها بكل وحشية حتى ان السلال وقعت من يديها وقال لها: «عليّ ان أشكرك، لقد كنت غبياً، وغبياً بحبك. لكنك فتحت لي عيني في الوقت المناسب، لقد وفّرت عليّ بأن أسمح لامرأة ثانية تحتال للدخول إلى هذا المنزل!»

ثم تركها وذهب إلى الباب، عندها قال: «سأقفل هذا الفندق في غضون اسبوع، وسأجد طريقة لكي أرمي بكما خارجاً بأسرع ما يمكن.»

أقفل الباب وراءه بكل قوة تاركاً صمتاً رهيباً في القاعة،

لقد مضت عدة دقائق قبل ان تستطيع بريوني ان تتكلم وقالت لإيتا: «لماذا عملتِ هذا؟»

«لم أعمل أي شيء، لقد اتصل جيف، هذه هي الحقيقة، وأرسل كل هذه الزهور أيضاً، كان هناك بطاقة معها. ألم تقرأيها؟»

«لا، أنا اعتقدت ان كل هذه الباقات هي من ريف.»

ثم شعرت ان رجليها لم يعودا يحملانها فجلست على السلم. وجلست بقربها ايتا أيضاً. وسألتها بريوني: «هل حقاً كذبت عن تلك الرسالة من الرجل الاوسترالي؟»

«لا، طبعاً لم أكذب. بما اني كنت قد خيبت أمله، لذا يبدو انه قرر ان يعوّض عن ذلك بالزواج، ولكنه لم يخبر ريف عن ذلك وخصوصاً لئلا يكون هناك أية امكانية في ان تعرف زوجته.»

«أنا سعيد لسماعي هذا.» رفعا رأسيهما عندما أتى السيد جون كورنيل إلى القاعة من المكان الذي كان يقف فيه في غرفة الجلوس مختبئاً منهما. تنهدت ايتا بغمّ فقال لهما: «لقد سمعنا معظم الذي جرى بينكم، كانت أصواتكم عالية، وأظن ان علي...»

رن الهاتف في القاعة، ونهضت ايتا لتتكلم على الهاتف، وقالت: «ماذا أجيب إذا كان الذي يخابر هو جيف...»

قالت بريوني بسرعة: «قولي له ألاّ يأتي إلى هنا. قولي له أنا لا أريد ان أراه.»

«لا، لا، أنت لا تفكرين جيداً.» رفع السيد كورنيل يده ليوقف ايتا عن أخذ المخابرة وقال: «دعيني أجيب أنا.»

لم تعترضا بل استمعتا وهو يجيب: «جيف، نعم، أنا

أعرف من تكون أنت. لا، لم تعد بعد، اسمع يا ولدي خذ نصيحتي اركب أول طائرة وتعال إلى هنا.»

عبس وهو يلوّح لبريوني ان تبتعد بينما كانت تحاول ان تأخذ السماعة منه، فتجاهلها وتابع حديثه مع جيف وقال: «إنك لا تنال مبتغاك فقط بارسال المراسيل، انت تعرف، خذ أول طائرة؟ هذا حسن. خذ سيارة أجرة من المطار إلى هنا. أراك غداً.»

بينما وضع سماعة الهاتف ركضت السيدتان إليه بسرعة وقالت له بريوني بغضب: «لماذا فعلت هذا؟ أنت تعلم اني لا أريد ان أراه.»

سألته إيتا: «ما الذي يدور في خلدك؟»

قال جون: «إن ريف لا يصدق أن هذا الشاب سيتزوجك. فدعيه يأتي إلى هنا ليعلم الجميع أنه سيفعل.»

قالت له بريوني: «وكيف سيعلم ريف بهذا وخصوصاً عندما اعلن انه لن يأتي إلى هنا مرة ثانية؟ كل ما عملته هو أنك زدت حياتي تعقيداً.»

عندها قالت ايتا لترطّب الجو: أنا متأكدة من اننا سنتمكن من التفكير في ايجاد طريقة تسهل الأمر.»

ثم دخلت السيدات الثلاث إلى القاعة وقد بدا على وجوههن الحماس والاهتمام وقلن: «ربما بإمكاننا نحن أيضاً ان نساعد.»

نظرت بريوني إليهم جميعاً وهمهمت ثم صعدت إلى غرفتها، هناك أخذت جميع السلال وبدأت تلقي بها من النافذة، وكذلك أخذت الأزهار من المزهريات وألقت بها خارجاً أيضاً، ما عدا الوردة الوحيدة التي أرسلها لها ريف،

أخذتها وضمتها إليها وألقت نفسها على السرير وبدأت تجهش بالبكاء.

في صباح اليوم التالي ولم تكد تصبح الساعة الثامنة حتى كانت سيارة أجرة، تنقل جيف من المطار، متوقفة أمام الفيلا، أتى جيوفاني وفتح الباب، وأتى السيد جون كورنيل ليستقبله بينما ذهبت ايتا لتوقظ بريوني.

قالت لها بريوني بعناد: «لا أريد ان أراه.»

أجابتها ايتا: «يا عزيزتي بريوني، إذا أردت ان تسترجعي ريف فعليك ان تواجهي جيف.»

«انها لفكرة سخيفة، إذا علم ريف اني قابلته سيكرهني أكثر.»

«ألا تفكرين بسبب آخر أحسن من هذا؟ الآن انهضي والبسي ثيابك.» ثم حملت ثوباً جميلاً وقالت لها: «البسي هذا سيبدو جميلاً عليك.»

كان جيف ينتظرها خارجاً على الشرفة، ونهض بسرعة عندما ظهرت هناك. وقال: «بريوني، تبدين رائعة.»

«شكراً لك، انها... انها لمفاجأة.»

قال لها: «كنت أفتش عنك منذ عدة أسابيع، وأخيراً علمت مكانك من ابنة عمك. وأتيت إلى هنا بأسرع ما أمكنني ذلك. لهذا فكرت انه من الأفضل ان آتي بنفسي، من ان اكتب رسالة لك أشرح فيها كل شيء. سألت والديك أين أنت، ولكنهما لم يخبراني. ربما فكرا في اني لا أستحق فرصة ثانية. ومعهما حق. ولكني كلما ابتعدت عنك كنتُ اشتاق اليك يا عزيزتي.»

قالت له: «لا تدعني بهذه الكلمة، أيجب علينا ان نناقش

هذا الآن؟ أنا بحاجة إلى شرب القهوة أولاً.» ثم سكبت لنفسها فنجاناً.

قال لها: «اعتقدت انك ستُسرين برؤيتي.»

رفعت حاجبيها وقالت: «لماذا؟»

«أما زلت غاضبة مني لأني تركتك، ولكني كنت بحاجة إلى بعض الابتعاد، يا بريوني لقد أخبرتك بهذا. كنت بحاجة لأن أكون بمفردي لبعض الوقت لأقرر.»

«عن ماذا؟»

«إذا كنت مستعداً للزواج.» وانتظر منها ان تفرح لهذا الخبر.

لكنها أجابت بكل برودة: «وقررت انك مستعد؟»

«نعم.» اقترب منها وابتسم. ثم سمعته يقول لها: «يا بريوني، أريد ان أتزوجك، ألم تخبرك بهذا المرأة التي أجابت على الهاتف؟ اردتك ان تعلمي لماذا أنا سآتي إلى هنا، واني قد قررت هذا.»

«حقاً؟» نظرت إلى البحر وبدت هادئة جداً، ثم رأت زورقاً آتياً إلى الخليج. أتى ريف ليأخذ يخته، ثم فكرت ان الأمور لم تأت لصالحه وان كل شيء انقلب ضده وخصوصاً بعد ان وقع بغرامها. لم تتفاجأ انه أتى ليأخذ اليخت بهذه السرعة. ولن تتفاجأ أيضاً إذا أخذ يخته إلى عرض البحر وأغرقه هناك ليغرق كل ذكرياته معها.

وقفت وهي ترتجف، لكن السيد كورنيل أتى إلى الشرفة وقال لها: «أظن انهم يريدونك في المطبخ يا بريوني.»

«ماذا؟ آه، طبعاً، اعذرني.»

بكل ارتياح ركضت إلى الداخل تاركة جيف والاميركي

يتحدثان معاً، ولكن بدلاً من ان تذهب إلى المطبخ فلقد صعدت إلى الطابق العلوي وجلست عند الشباك الذي يطل على الشاطىء، لترى ماذا سيفعل ريف. ثم وصل الزورق بسرعة وربطه ريف في المرفأ. رأت السيد جون يسير إلى الشاطىء وجيف بجانبه، التقى الرجال الثلاثة في اليخت، فعرّف السيد جون جيف إلى ريف. ثم انحنى الجميع ليروا جانب اليخت، ربما بعد حادث سببّه اصطدام اليخت ببعض الصخور في المرفأ، حدّقت بهم بريوني محاولة ألاّ تفكر بما يجول في رأسها، هل يعقل أن يكون ذلك صدفة ان يأتي ريف في ذلك الوقت لينظر إلى الأضرار في يخته في الوقت الذي كان فيه جيف في الفيلا.

تركهم السيد جون كورنيل في اليخت وعاد إلى الفيلا. فبدأ ريف وجيف بالتحدث وبدا لها ان جيف هو الذي كان يتكلم أكثر. ففكرت بريوني أن ذلك لن يجدي نفعاً، وان على ريف ألاّ يشك بجون كورنيل وجيف طبعاً كان صادقاً تماماً.

رجع السيد جون إلى اليخت مع جيوفاني محملين ببعض ألواح الخشب والعدة لتصليح الثقب في اليخت. نظر جيف اليهم ثم نظر إلى المنزل، ثم بغير صبر، ترك الجميع ومشى إلى الحديقة ثم إلى البيت ومنه إلى القاعة.

هبطت بريوني السلم لتلتقيه في القاعة وهي تقول له: «ما العطل في اليخت؟»

«ثقب في جانبه.» ثم قال لها: «عندي الكثير من الكلام لأقوله لك، والكثير من الخطط لأعملها.»

لكن بريوني قالت له: «ماذا تكلمت مع ريف؟»

«الاميركي؟»

«لا، الرجل في اليخت.»

«الايطالي؟ بالحقيقة كان مهتماً بنا ويبدو انك ذكرت اسمي له عدة مرات.»

«هل أخبرته لماذا أنت هنا؟»

«سألني مباشرة هذا السؤال فهو قريب صاحبة الفندق، كان يبدو انه خائف من رحيلك. متى سنرحل معاً من هنا يا عزيزتي؟»

نظرت إليه ببرودة لظنه بأن ما عليه إلا أن يعرض عليها الزواج لتتخلى عن كل شيء، وقالت له: «يمكنك ان ترحل ساعة تشاء. لن أذهب معك.»

«تعنين أن ليس بإمكانك الرحيل؟ هل أنت مرتبطة بعقد عمل للصيف أو ماذا؟»

«أعني اني لا أريد ان أتزوجك، يا جيف، شكراً لك على العرض ولكن عندي خططاً أخرى.»

«ولكن لم يكن لديك الوقت الكافي لتفكري بالأمر ملياً.»

«بل بالعكس، كان عندي الوقت الكافي لأفكر من وقت انفصالنا، وقررت منذ زمن بعيد ان مستقبلي لا يشملك أنت.»

«هل أنت متأكدة، او انك تردين لي صنيعي لك.»

«أنا لا أحبك، ولا أريد ان أتزوجك. اذهب إلى الوطن يا جيف وانس كل شيء عني.»

«أنت تخطئين بعملك هذا يا بريوني. سبق وقلت لك كم أنا آسف لانفصالنا، أنا لن أستجدي وأتوسل أنت تعلمين هذا. وليس عندي الوقت لأضيّعه هنا بالتوسل إليك.»

«إذاً ارحل.»

«نعم، ولماذا لا ترحل؟» كان هذا صوت ريف الذي كان

آتياً من الشرفة ليقف بالقرب من بريوني وهو يقول لجيف: «أنت من الماضي بالنسبة لحياة بريوني.»

نظر إليه جيف وقد فوجيء بما يسمع ثم قال: «إذاً كما أرى، هذا هو المكان الذي تهب فيه الرياح، إنك لم تضيّعي الوقت كما أرى.» ثم نظر إلى مكان حقيبته التي كانت ما تزال في المكان الذي وضعها فيه عندما وصل، قال: «أين يمكنني ان أجد سيارة أجرة؟»

قالت له بريوني: «سيأخذك جيوفاني إلى المطار.»

ثم قال ريف وهو ينظر إلى بريوني: «سأستدعيه.» ثم سألها بالإيطالية: «هل ستكونين بخير.»

هزّت له برأسها بالايجاب. ثم قالت لجيف: «سأذكر دائماً الأوقات التي قضيناها معاً.»

قال لها جيف: «لقد كنت تحبينني إذن؟»

قالت له: «نعم، اعتقدت اني أحببتك.»

قال لها: «ولكنك الآن تشعرين بالعكس.»

هزت رأسها بالايجاب ثم تابع يقول: «حسناً، ليس بالإمكان الحصول على كل شيء. كان عليّ ان أخطفك لما كان لدي الفرصة لذلك.» وعندما رجع ريف مع جيوفاني. قال لها: «حظاً سعيداً يا بريوني، أعني هذا من كل قلبي.»

قالت له: «نعم أنا أعرف انك تتمنى لي كل الخير، شكراً لك.»

وقفت تتأمله وهو يرحل مع جيوفاني في السيارة، ثم رجعت إلى القاعة إلى المكان الذي كان ينتظرها فيه ريف، حيث قال لها: «يبدو أن استنتاجاتي عنك كانت خاطئة. اعذريني يا بريوني؟»

أحست بحركة، فاستدارت بريوني ووجدت ان ايتا والسيد كورنيل واقفين عند الباب الذي يطل على الشرفة وان السيدات الثلاث واقفات أيضاً على الشرفة ينصتن إليهما أيضاً وحتى ماريا كانت تسترق السمع من باب المطبخ، كلهم منشرحين على نجاح الخطة. ثم استدارت إلى ريف وشعرت ان قلبها مثقل بالحب ولكن صوتها كان هادئاً حين قالت: «يا ريف هل تصنع معي معروفاً؟»

قال لها: «طبعاً، أي شيء.»

قالت له: «إذاً، اغرب عن وجهي!» وركضت إلى غرفتها بينما غمر الذهول الجميع.

لحقها ريف إلى غرفتها ودقّ على بابها المقفل مهدداً بأنه سيكسره إذا لم تفتح الباب. وتوسلت إليها ايتا واقنعها السيد كورنيل ولكن بريوني رفضت ان تخرج إلا بعد ان تأكدت ان ريف قد رحل.

قالت لها ايتا: «اعتقدت ان الفكرة بكاملها هي ان نرجع ريف إليك.»

قالت لها بريوني بغضب: «حسناً يمكنه ان يفكر مرة ثانية، لندع ريف يعرف بنفسه كيف يشعر الشخص المرفوض.»

كان يخابرها عدة مرات في اليوم وحتى انه كان يأتي كل مساء ولكن بريوني كانت ترفض ان تكلمه أو تراه، وخوفاً من ان يتسلل إلى غرفتها، فتشت بريوني كل المنزل حتى وجدت المكان الذي كان بامكانه ان يدخل منه إلى المنزل، فوجدت ان هناك نباتاً قوياً متسلقاً البرج الذي يؤدي إلى سطح غرفة المؤونة التي كان لها باب مفتوح

دائماً. لذلك جعلت جيوفاني يقطع هذا النبات ويقفل باب السطح، وكذلك أخذت توصد باب غرفتها كل ليلة قبل ان تنام.

لم تغادر المنزل لمدة اسبوعين، ولكنها لانت لما دُعيت إلى حفلة للهلال الأحمر مع ايتا والسيد كورنيل، بما انه كان الضيف الأخير عندهم، وكان مجرد ضيف لأن ايتا كانت قد ألغت كل الحجوزات واقفلت الفندق.

أكدت لها ايتا: «ليس بسبب ريف، سأخبرك الحقيقة، سأتزوج جون واذهب إلى أميركا معه.»

«ستخسرين الفيلا إذا أنت تزوجته.»

«نعم، ولكن جون قد وعدني انه سيشتري لي بيتاً آخر هناك، بإمكاني أن أتي إليه ساعة أشاء بالإضافة إلى ان بامكاني ان أزوركما أنت وريف في الفيلا. هل يمكنني ذلك؟»

قالت بريوني: «إنني لا أريد ان أتكلم مع ذلك السفّاح مرة ثانية، فكيف أتزوجه.»

وصلوا إلى القصر في كاتانيا حيث تقام الحفلة، في بيت الأميرة التي التقوا بها في حفلة الجمعية الخيرية. أوقفوا السيارة في الساحة خلف سيارات المدعوين. ورأوا السيدات الجميلات يقفن جماعات يتحدثن، وانتظروا هم دورهم ليتقدموا فمشوا بخطوات واسعة في المدخل، كان ريف بانتظارها، وقد علمت انه سيكون هناك.

سألها: «هل نلتُ عقاباً كافياً؟»

أجابت: «أظن ذلك.»

«إذاً هل علي ان أصطحبك؟»

هزّت برأسها بالايجاب، وشعرت بالحياء ولكنها قالت: «نعم يمكنك ذلك.»

أشرق وجهه ونظر إليها نظرة ملؤها الحب والتي ستتذكرها كل حياتها، ثم قال: «تعالي إذاً.» وقادها إلى القاعة حيث كانت الأميرة موجودة هناك، وكان معها المساعدون ينتظرون ليستقبلوا الضيوف. تكلم مع الأميرة بلهجة واضحة جداً وقال لها: «هل لي ان أقدم لك الآنسة فيرزز... زوجتي المستقبلية؟»

تمـــت

www.elromancia.com